

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ

لِلَّهِ

المهنداس
عبدال
الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢]

.. شعائر الله تعالى هي النسك والعبادات ، التي يأمر الله تعالى بها ، والتي من خلالها يتحسس الإنسان سبل رضا الله تعالى والالتزام بطاعته ، بإقبالٍ محمولٍ بتقوى الله تعالى ، عبر قلبٍ سليمٍ يأتي بالإنسان إلى خالقه حلًّا وعلا ..

.. ولو تتبعنا كلمة ﴿ شَعَابِير ﴾ في كتاب الله تعالى ، لرأيناها ترد أربع مرّات ، في كلِّ

منها تعلقٌ بالحج ومناسكه ، وكلُّ منها ترد مضافة إلى لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ تعالى ..

﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَابِيرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتِ ﴾ [البقرة : ١٥٨]

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْلُوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَى ﴾ [المائدة : ٢]

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢]

﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ ﴾ [الحج : ٣٦]

.. وأيضاً كلمة ﴿ الْمَشْعَرِ ﴾ تتعلق بمناسك الحجّ ..

﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا

هَدَيْنَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ [البقرة : ١٩٨]

.. وما نراه أن كلمة شعائر كتعلّق بحيثيّة مذكورة بعينها ، ترد برسمٍ مميّز ، وذلك

برسم حرف الألف ما بين حرفي العين والنبرة : ﴿ شَعَائِرِ ﴾ .. بينما في الأماكن الأخرى

نرى رسماً مختلفاً : ﴿ شَعَائِرِ ﴾ .. وقد بينت في كتبي ، أن رسم الكلمة القرآنيّة يتعلّق

بخصوصية الدلالة المحمولة بها ..

.. في كلّ الأبحاث التي أجمعت بها في كتاب الله تعالى ، لم أضع تصوّرات ذاتيّة

تتحكّمات على النصّ ، ولم أدعُ في يومٍ من الأيام لتخطئة ما لم يعارض صريح كتاب

الله تعالى .. أبداً .. أقول مرّات ومرّات ومرّات : كلّ ما يعارض صريح دلالات كتاب

الله تعالى ليس صحيحاً .. لكن .. ما لم نملك عليه دليلاً جليّاً من كتاب الله تعالى ، ندعه

للزمن .. وإن كان الأمر متعلّقاً بالشعائر العامّة كفرائض الصلاة والصيام والحجّ ، ودون

معارضة ظاهرة لكتاب الله تعالى ، فالأولى الالتزام بما وصلنا أباً عن جدّ ، كسنّة عمليّة

تتوارثها الأمة ، عليها إجماع من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة ، كونها من الذكر الذي

تكفّل الله تعالى بحفظه ..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

.. فالنصّ القرآنيّ وشعائر العبادات الأساسيّة ، أمرٌ تكفّل الله تعالى بحفظه ، ولم يتركه

جلّ وعلا تحت رحمة تخمينات البشر ورؤاهم المختلفة ، وإن وُجد تحريفٌ خلال الزمن في

جزئيّة ما من هذه الشعائر ، فتصحيحه موجودٌ في ظاهر نصّ كتاب الله تعالى ..

.. عندما تيقنت من دلالات كتاب الله تعالى بعودة المسيح عليه السلام ، وملكت البرهان على ذلك من كتاب الله تعالى ، لم أتردد بنشر ما فتح الله تعالى به عليّ في ذلك ، ولم انطلق بذلك من كون الموروث يقول بعودة المسيح في آخر الزمان ، ولم أصغ للوم الأصدقاء والأحبة في ذلك ، ولنقد الآخرين .. أبداً .. نحن لنا معيارٌ واحدٌ هو كتاب الله تعالى ، ولا نسعى لهدم الموروث كما يفترى علينا عابدو أصنام التاريخ ، كلُّ ما نسعى إليه هو رضا الله تعالى ، والقيام بواجبنا في خدمة نور كتابه الكريم ، برفع ركام التاريخ عنه ، ونشر نوره بين الناس ..

.. في هذا البحث سنتناول - إن شاء الله تعالى - موضوع الحجِّ والعمرة ، من كتاب الله تعالى ، بمنهجية علمية ، حاملها الصياغة اللغوية لنصوص كتاب الله تعالى ، دون النظر إلى الخلافات في هذا الأمر ما بين صنّاع الموروث ، ودون النظر إلى الخلافات ما بين الموروث من جهة والدراسات الحديثة من جهةٍ أخرى .. ما يعيننا - دائماً - هو ماذا يقول لنا كتاب الله تعالى ، من خلال ثوابت صياغته اللغوية التي لا خلاف فيها ..

.. مشتقات الجذر (ح ، ج ، ج) في كتاب الله تعالى ، تدور دلالاتها في إطار قصد الهدف المراد والقدوم إليه ، بمعتقد مُبرهنٍ بالنسبة للقاصد ، بحيث لا يقبل الشكَّ والتحوّل ، وبحيث يُغالب به القاصدُ ويلاجج كلُّ من يقف في سبيله ..

.. الحجّة هي البرهان والدليل الذي لا يقبل - بالنسبة لمعتقد صاحبها - الشكَّ والتحوّل ، والتي يقصدها صاحبها ، ويُغالب بها ..

﴿ لَعَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [البقرة : ١٥٠]

﴿ لَعَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥]

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩]

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام : ٨٣]

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤

﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٥]

﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى : ١٦]

﴿ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُّوا بِأَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الجاثية : ٢٥]

.. والحاججة .. هي مغالبة عبر دليل يعتقد به الحاجج ، يُقدِّم عليها بهدف وضع الحجَّة على الآخر ..

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٣٩]

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ [الأنعام : ٨٠]

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ ﴾ [غافر : ٤٧]

.. وحج البيت هو قصده والقدوم إليه ، بهدف العبادة المفروضة المعلومة ، بمعتقد سليم لا يقبل الشك ، وبحيث يُغالبُ به الحاجُّ - ما دام مستطيعاً - كل مانع له في ذلك ..

﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧]

.. وبإضافة كلمة : ﴿ حَجُّ ﴾ إلى كلمة : ﴿ الْبَيْتِ ﴾ : ﴿ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾ ، في هذه

الآية الكريمة ، يكون : ﴿ الْحَجُّ ﴾ قد نُسب ككلمة معرفة بأل التعريف ، إلى تعريف

الإضافة هذا : ﴿ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾ [[﴿ الْحَجُّ ﴾] ، هو : ﴿ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾]]

.. وهاهي جميع النصوص القرآنية الحاملة للكلمتين [[﴿ الْحَجُّ ﴾] ، ﴿ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾]]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ ﴾ [البقرة : ١٨٩]

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٦]

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا

جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧]

﴿ وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ [التوبة : ٣]

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ ﴾ [الحج : ٢٧]

.. ما نراه ... أن : ﴿ الْحَجِّ ﴾ ، ككلمة معرفة بأل التعريف ، ترد في كتاب الله تعالى

: (٩) مرّات ، فهل مجموع هذا الورد يشير إلى يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة ؟

.. وما نراه أيضاً أن العبارة : ﴿ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ ترتيبها في كتاب الله تعالى في سياق

ترتيب ورود هاتين الكلمتين في كتاب الله تعالى هو التاسع ، فهل ترتيب الورد هذا يشير

إلى يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة ؟ .. وما نراه أن مجموع ورود هاتين الكلمتين

[[﴿ الْحَجِّ ﴾ ، ﴿ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾]] هو عشر مرّات ، فهل هذا له تعلقه بعشر ذي

الحجة ؟ .. بالتأكيد كل ما يحمله كتاب الله تعالى ينبض بالحكمة وبالادلة ..

.. ومن مشتقات الجذر (ح ، ج ، ج) هو كلمة ﴿ حَجَّجَ ﴾ ..

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَّجَ

فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [القصص : ٢٧]

.. معلوم أن مهر المرأة ، هو ذاته يُسمى في كتاب الله تعالى أجراً ..

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤]

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦

﴿ فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ٢٥]

﴿ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥]

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٠]

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ [الممتحنة : ١٠]

.. فالأجر (المهر) ، يدفعه الرجل للمرأة حينما يخطبها من أهلها (قبل الدخول) ،

وسين الطلب في كلمة ﴿ اسْتَمْتَعْتُمْ ﴾ واضحة في قوله تعالى ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ..

﴿ فآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ..

.. والأجر - كما يُبين لنا كتاب الله تعالى - هو للمرأة ، وليس لولي أمرها :

[[﴿ فآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ ، ، ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ ، ، ﴿ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ ، ، ﴿ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾]]

.. وهنا .. مَنْ عَرَضَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نِكَاحَ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ ، طَلَبَ مَقَابِلَ ذَلِكَ : ﴿ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ ، وهذا لا يعني أن المهر له ، وإنما يُسَلَّمُ له كحَقِّ لَابْنَتِهِ ، والعمل الذي قام به موسى عليه السلام ، هو ليس لصالح أبي زوجته ، وإنما لصالح زوجته كمهر لها ..

السلام نكاح إحدى ابنتيه ، طلب مقابل ذلك : ﴿ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ ، وهذا لا يعني أن المهر له ، وإنما يُسَلَّمُ له كحَقِّ لَابْنَتِهِ ، والعمل الذي قام به موسى عليه السلام ، هو ليس لصالح أبي زوجته ، وإنما لصالح زوجته كمهر لها ..

والمعمل الذي قام به موسى عليه السلام ، هو ليس لصالح أبي زوجته ، وإنما لصالح زوجته كمهر لها ..

.. هنا .. نرى أن كلمة ﴿ عَلَيَّ ﴾ كحرف جر ، دخلت على ﴿ أَنْ ﴾ (حرف مصدرى ونصب) وما يليها .. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، من الفاعل ومن المفعول به ، بمعنى : حال كوننا مشروطاً علينا ذلك .. ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ فعل مضارع ، والياء مفعول به ، والمفعول به الثاني بتقدير (نفسك) محذوف .. ﴿ ثَمَنِي حِجَجٍ ﴾ ظرف زمان ل ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ ..

.. هنا .. نرى أن كلمة ﴿ عَلَيَّ ﴾ كحرف جر ، دخلت على ﴿ أَنْ ﴾ (حرف مصدرى ونصب) وما يليها .. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، من الفاعل ومن المفعول به ، بمعنى : حال كوننا مشروطاً علينا ذلك .. ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ فعل مضارع ، والياء مفعول به ، والمفعول به الثاني بتقدير (نفسك) محذوف .. ﴿ ثَمَنِي حِجَجٍ ﴾ ظرف زمان ل ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ ..

مصدرى ونصب) وما يليها .. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، من الفاعل ومن المفعول به ، بمعنى : حال كوننا مشروطاً علينا ذلك .. ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ فعل مضارع ، والياء مفعول به ، والمفعول به الثاني بتقدير (نفسك) محذوف .. ﴿ ثَمَنِي حِجَجٍ ﴾ ظرف زمان ل ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ ..

مفعول به ، والمفعول به الثاني بتقدير (نفسك) محذوف .. ﴿ ثَمَنِي حِجَجٍ ﴾ ظرف زمان ل ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ ..

زمان ل ﴿ تَأْجُرَنِي ﴾ ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٧

.. وشاهدنا في هذا السياق هو كلمة ﴿ حَجَّجَ ﴾ ، كمشقَّتْ من الجذر (ح ، ج ، ح) ،
ج) ، فهذه العبارة ﴿ ثَمَنِي حَجَّجَ ﴾ ، تتعلَّق بالمدة الزمنية التي يكون فيها موسى عليه
السلام مرهوناً بأجره ، كمهرٍ لزوجته ، وقد استخدم أبو زوجة موسى ما بين حَجَّتَيْن ،
كوحدة زمن في الأجل الذي تعاقد به مع موسى عليه السلام ..

.. واستخدام كلمة : ﴿ حَجَّجَ ﴾ بهذه الحَيْثِيَّة من مشتقَّات الجذر (ح ، ج ، ج) ،
إضافة لكونها جمعاً لوحدة زمنية ما بين حَجَّتَيْن ، وإضافة لكون هذا الاستخدام لكلمة :
﴿ حَجَّجَ ﴾ هو بيانٌ أن ما أراده أبو زوجة موسى هو مدَّة تقدَّر بالسنين القمرية ، كون
الحجِّ يتعلَّق بالأشهر ، ويتكرَّر كلَّ سنة قمرية .. إضافة لذلك .. هو بيانٌ لنا أن مناسك
الحجِّ آنذاك كانت معلومة زماناً ومكاناً ومناسك ، كون مناسك الحجِّ - كما سنرى إن
شاء الله تعالى - أمراً معلوماً من عصر إبراهيم عليه السلام ، وكما نعلم ، موسى جاء بعد
إبراهيم عليهما السلام ..

.. إذاً .. الحجُّ المعنيُّ في كتاب الله تعالى ، هو قدومٌ للحاجِّ إلى بيت الله تعالى ، بهدفٍ
مقصود ومحدَّد ، اعتقاداً خالصاً ، يخلع فيه الحاجُّ كلَّ شكٍّ ولججٍ وصعوبةٍ تقف في سبيل
وصوله لهدفه ..

.. والعمرة .. من الجذر : (ع ، م ، ر) ، الذي تدور دلالاته في إطار شغل الشيء
بالحياة والحيوية ، أي ما يُبنى فيه من لبنات الحياة والحيوية والحضور ..
.. فتعمير الشيء ، شغله بالحياة والحيوية والحركة والحضور ..

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٧]

﴿ وَأَنْتَ أَرْضُ وَعَمْرُوهَا أَكْثَرُ مِمَّا عَمَّرُوهَا ﴾ [الروم : ٩]

.. و ﴿ العَمْرُ ﴾ هو زمن الإنسان الذي يشغله بالحياة والحركة والحضور ..

﴿ وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٨

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وِءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ [الأنبياء : ٤٤]

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨]

.. والاستعمار في الأرض هو طلب شغلها بالحيوية والنشاط والحضارة ..

﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود : ٦١]

.. وعمارة المسجد الحرام ، هي القيام عليه وخدمته ، يجعله عامراً بالحركة والحيوية ..

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ﴾ [التوبة : ١٩]

.. واعتماد البيت هو عمل عمرة فيه ، بشغل حياة الإنسان فيه بالعبادة والانقطاع إلى

الله تعالى ، من خلال شعائر محددة ..

﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : ١٥٨]

.. فالعبارة القرآنية ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ ﴾ تعني : فمن حج البيت أو اعتمر

في البيت .. ومن هنا فإن العمرة في كتاب الله تعالى كصيغة اسمية معرفة بأل التعريف ،

تعني الشعيرة المعروفة التي يُعتمر بها في بيت الله تعالى ..

﴿ وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة : ١٩٦]

.. وفي المقارنة بين العمرة والحج ، ممَّا نعلمه كشعائر ممارسة من عصر الرسول ﷺ ،

بل من عصر إبراهيم عليه السلام ، وممَّا نقرؤه في كتاب الله تعالى .. نرى النقاط التالية ..

١ - أركان الحج : الإحرام والوقوف في عرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا

والمروة ، وأما أركان العمرة فهي : الإحرام والطواف والسعي .. فالحجُّ يتميز بالوقوف

في عرفة ..

٢ - العمرة ليست محدّدة بوقتٍ من العام .. بينما الحجُّ له أشهره الخاصّة به ، ومناسكه الأساسيّة لها أيّامها الخاصّة بها ..

٣ - حيثيّات الالتزام بالعبادات بالنسبة للعمرة تبدأ بعد الوصول إلى المسجد الحرام ، بينما حيثيّات الالتزام بالحجّ تبدأ من اللحظة التي يفرض فيها الحاجُّ على نفسه الحجّ ، وهو في بيته ، في أشهر الحج ، قبل وصوله إلى المسجد الحرام ، كما سنرى إن شاء الله تعالى ..

٤ - لا يجوز التحلّل من العمرة في أشهر الحجّ دون هدي ..

٥ - الشروع في أيّ منهما ، يقتضي إتمامها ..

.. والنصُّ التالي ، يصوّر لنا أحكام إتمام شعائر الحجّ والعمرة ، وتصحيح بعض المفاهيم التي تمّ تحريفها ما بين عصر إبراهيم عليه السلام ، ونزول القرآن الكريم .. ولذلك .. سننطلق منه في تبيان موضوعي الحجّ والعمرة ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّع بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِن خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٣٢﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۚ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِّنْ

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٠

حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٦﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمَنْ الْنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿١٦٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦٨﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٦٩﴾ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧٠﴾ [البقرة : ١٩٦ - ٢٠٣]

.. العبارة الأولى في هذا النصّ الكريم هي : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ .. وأول كلمة فيها هي : ﴿ وَأَتِمُّوا ﴾ ، وهي فعل أمر من الجذر (ت ، م ، م) .. وتقام الشيء هو السير به إلى نهايته ، ممّا يجعله ليس ناقصاً ..

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۗ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ ﴾ [البقرة : ١٨٧]

﴿ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۚ لِمَن أَرَادَ أَن يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

﴿ * وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فَنَمٍّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف : ١٤٢]

.. وابتداء هذا النصّ بكلمة ﴿ وَأَتِمُّوا ﴾ وبورود كلمتي ﴿ الْحَجَّ ﴾ ، ﴿ الْعُمْرَةَ ﴾ [بصيغة المعرفة بأل التعريف ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ، فيه إشارة - أقول إشارة -

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١١

((تتعاضد مع باقي الأدلة البينة في كتاب الله تعالى ، كما سنرى)) على أن شعائر الحج كانت أمراً معلوماً قبل نزول القرآن الكريم ، والمطلوب هو إتمامها ، بترميم النقص الناتج عن القفز فوق بعض جزئيات المناسك من قبل البشر ، ما بين عصر إبراهيم عليه السلام ونزول القرآن الكريم ، حيث يحمل كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) أحكاماً تبين ما يجب إتمامه في ذلك ، والتي سنقف عندها بإذن الله تعالى في هذا البحث .. فورود الكلمتين [﴿ الْحَجَّ ﴾ ، ﴿ الْعُمْرَةَ ﴾] بأل التعريف ، ناتج عن كونهما أمرين معلومين ، وما يراد هو إتمامهما ، لله تعالى ..

.. والسؤال الآن .. إضافة لكون دلالة كلمة ﴿ وَأَتِمُّوا ﴾ تُشير إلى ترميم النقص الذي تم القفز فوقه - من قبل البشر - ما بين عصر إبراهيم ونزول القرآن الكريم .. إضافة لذلك .. هل دلالات هذه العبارة القرآنية ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ، تعني الانتهاء من كامل نسك هاتين العبادتين ، وبشكلٍ موجهٍ لجميع المخاطبين بهذا النص ، بأن يقوموا بهاتين الشعيرتين على أتم حال ، بمعنى : فاشرعوا فيهما ، ثم أتموهما إلى نهاية نسكهما ؟ .. أم أنه مشروط بمن يشرع في البدء بهما ، بأنه عليه أن يتمهما للنهائية ، بمعنى : إذا شرعتم بهما ، فأتموهما إلى نهاية نسكهما ؟ ..

.. الأمران معاً .. معنيان بهذه الصيغة ، وما نراه أن الاحتمال الثاني مُتضمن في الاحتمال الأول .. فسواء التقدير : فاشرعوا فيهما ثم أتموهما إلى نهاية نسكهما ، أم التقدير : إذا شرعتم فيهما فأتموهما إلى نهاية نسكهما .. ففي الحالتين .. من شرع فيهما لا بد له من إتمامهما للنهائية .. فالأمر : ﴿ وَأَتِمُّوا ﴾ نراه للإتمام .. والسياق اللاحق إضافة لصياغة هذه العبارة ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ، يؤكد ذلك ، بأنه من شرع فيهما عليه أن يتمهما ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٢

.. والسؤال الذي يطرح نفسه : ما الإضافة الدلالية لكلمة ﴿ لِلَّهِ ﴾ في العبارة القرآنية

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ؟ .. أليس الشروع فيهما هو من أجل الله تعالى ؟ ..

.. ما نراه أن الواو في كلمة ﴿ وَأَتِمُّوا ﴾ عاطفة ، أتَمُّوا فعل أمر مبني على حذف النون

، والواو فاعل .. ﴿ الْحَجَّ ﴾ مفعول به .. ﴿ وَالْعُمْرَةَ ﴾ عطفت على الحج .. ﴿ لِلَّهِ ﴾

جار ومجرور متعلقان ب ﴿ وَأَتِمُّوا ﴾ ، وهنا اللام في كلمة ﴿ لِلَّهِ ﴾ هي لام المفعول

لأجله ، بمعنى : لأجل الله تعالى .. وحتى لو تم تعليق الجار والمجرور بمحذوف حال ،

بتقدير : حال كون الإتمام خالصاً لله تعالى .. فإنه في الحالتين نرى أن إتمام الحج والعمرة

إلى نهايتهما ، هو من أجل الله تعالى ..

.. من هنا نرى أن إتمام هاتين الشعيرتين ، بعد البدء بهما ، هو أمرٌ ضروريٌّ ، من

أجل الله تعالى ، وذلك له أسبابه ، التي منها كون أداء هاتين الفريضتين هو في بيت الله

تعالى ، فإضافة البيت لله تعالى : ﴿ بَيْتِي ﴾ ، أمرٌ يحمل خصوصيةً لهذا البيت ، ولأداء

العبادات فيه ..

﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥]

﴿ وَطَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦]

.. فخصوصية بيت الله تعالى ، خصوصية مكانية تميّزه عن أيّ مكانٍ على وجه الأرض

، وهذا له أسرارهِ الكونية المتعلّقة بهذه الخصوصية .. وعنصر المكان هذا هو العنصر الأوّل

من عناصر الحجّ : ((مكان .. زمان .. مناسك)) .. وما نعلمه من كتاب الله تعالى ، أن

بيت الله تعالى - كمكان - هو أوّل بيتٍ وُضع للناس (أي قبل آدم عليه السلام) ، وفيه

آياتٌ بيّنت ، تتعلّق بإبراهيم عليه السلام كرفعٍ لبناء هذا البيت ، وكذلك كعلمٍ بالمناسك ، وكذلك بالزمان الذي تتمُّ فيه هذه المناسك ، وأثّه من دخل هذا البيت كان آمناً ..
 .. بيّنت - بما فيه الكفاية - في كتيبي ، أنه قبل إنجاب إبراهيم عليه السلام ، كانت المرحلة الأولى من مراحل الرسالات السماوية ، وبيّنت أنه في هذه المرحلة كانت المناهج والمعجزات ملتصقة بشخص الرسول في تلك المرحلة .. وبالتالي .. فعناصر الحجّ ((مكان .. زمان .. مناسك)) ، كانت أموراً يتمُّ علمها بتواصل البشر المباشر مع الرسل في تلك المرحلة ..

.. وفي المرحلة الثانية ، التي بدأت بإبراهيم عليه السلام بعد أن أنجب ، بدأت المناهج تتوزّع ما بين الكتب السماوية والصلاحيات الشخصية لرسول تلك المرحلة ، فبدأ موضوع الحجّ يأخذ تحديداً واضحاً - لكلّ الناس - في عناصره : ((مكان .. زمان .. مناسك)) ، فوقع على عاتق إبراهيم عليه السلام تبيان هذه العناصر الثلاثة ، للناس جميعاً ..

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَّامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٥ - ٩٧]

.. فالأمر الإلهي ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، هو لنا نحن في المرحلة الثالثة التي بدأت بمحمد ﷺ ولا تنتهي إلى قيام الساعة ، حيث المنهج والمعجزة المصدّقة لها ، تركّزا في النصّ القرآني ، وهو أمرٌ واضحٌ بإتباع ملة إبراهيم عليه السلام .. وهذا الأمر الإلهي ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، يتبعه سياق قرآنيّ ، كلّهُ يتعلّق بالبيت والحجّ إليه ... فكلُّ مناسك الحجّ ، وتحديدها زماناً ، ومكاناً ، تعود في علم الناس بها ، إلى إبراهيم عليه السلام ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٤

.. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ ، نرى فيه كلمة : ﴿ وُضِعَ ﴾ بصيغة المبني للمجهول ، كإشارة إلى أن واضعه ليس حصراً للناس : ﴿ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ ، وكون آدم عليه السلم (أبي الناس) واحداً منهم ، فإن البيت موضوعٌ من قبله ... ومنذ عصر آدم عليه السلام ، هناك رسالات فيها أمرٌ بالصلاة ، وبالتالي منذ آدم لا بدّ من قبلةٍ موجودة يتمّ الاتجاه إليها ، وهذه القبلة هي أول بيت وُضِعَ للناس ، حال كونه : ﴿ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .. وسنرى - إن شاء الله تعالى - أن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِّنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، بهذه الصيغة التي تشمل الناس جميعاً ، وبأمرٍ ساحته المستقبل ﴿ أَفِيضُوا ﴾ يتعلّق تنفيذه بمكانٍ ﴿ أَفَاضَ ﴾ منه الناس ، يشير - ممّا يشير إليه - إلى أن بداية وجود الناس لها تعلّقها بهذا المكان ، وأنّ الناس حجاج بيت الله تعالى قبلنا أفاضوا من هذا المكان ذاته .. من كلّ ذلك وغيره .. نرى أنّ الله تعالى ((الأمر بوضع هذا البيت للناس)) على هؤلاء الناس حقٌّ ، هو حجُّ هذا البيت ..

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧]

.. وبيت الله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وهذا يتعلّق بأسرارٍ يحملها البيت ، كمكان يتميّز (كونياً) بها عن أيّ مكان على سطح الأرض ... فالجار والمحرور ﴿ فِيهِ ﴾ متعلّقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدّم .. ﴿ ءَايَاتٌ ﴾ مبتدأ مؤخّر .. ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ صفة لآيات .. والجملة مستأنفة .. ﴿ مَّقَامٌ ﴾ مبتدأ خبره محذوف بتقدير :

منها مقام إبراهيم ، وممكن أنها خير لمبتدأ محذوف بتقدير : أحدها مقام إبراهيم ..
﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ مضاف إليه ، والجملة استئنافية ..

.. وهنا .. العبارة ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ لها أبعاد دلالية عميقة ، وليست محصورة بمجرد وجود بقعة من هذا المكان المقدس يُطلق عليها اسم : مقام إبراهيم .. فبيت الله تعالى هو بيت العبادة الخالصة عن أيِّ شرك ، وهو بيت الفطرة النقيّة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، والتي من خلالها علم إبراهيم برّبه جلّ وعلا ..

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾
﴿ ٧٥ ﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿ ٧٦ ﴾
﴿ ٧٧ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿ ٧٨ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿ ٧٩ ﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ٨٠ ﴾ [الأنعام : ٧٥ - ٧٩]

.. ف ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هو منزلة الفطرة النقيّة الخالصة عن أيِّ شرك .. هو منزلة الخلاص والإخلاص لله تعالى حتى دون التفاعل مع الرسالات السماوية .. هو منزلة الفطرة النقيّة التي فطر الله تعالى الناس عليها .. هو منزلة كون إبراهيم عليه السلم إماماً للناس (كلّ الناس) : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [لبقرة : ١٢٤] .. هو منزلة المشترك الإنساني النقي ، الذي يلتقي عنده كلّ الناس ، الذين بدأ وجودهم من هذا المكان المقدس .. هو منزلة : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ..

﴿ وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٦

.. فالمتزلة ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، كمتزلة مجردة عن الجانب الشخصي والتاريخي .. أي .. كفطرة نقيّة طاهرة ، تمثلها إبراهيم عليه السلام مائة بالمائة .. من خلالها .. تتمّ الصلة مع الله تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة : ١٢٥] ..
.. وكون إبراهيم عليه السلام هو مَنْ أمره الله تعالى برفع القواعد من البيت (وإسماعيل) ، وهو (وإسماعيل) عليهما السلام مَنْ أمر بتطهير البيت ..

﴿ وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥]

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦]

.. فإنّ الرفع المادّي للقواعد من البيت ، هو انعكاسٌ من روح يتعلّق به كون إبراهيم عليه السلام أباً لكلّ الأنبياء خلفه ، وإماماً لكلّ الناس بعده .. فالإتباع للملّة لم يأت في كتاب الله تعالى إلاّ متعلّقاً بملّة إبراهيم عليه السلام ..

﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة : ١٣٠]

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [البقرة : ١٣٥]

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [آل عمران : ٩٥]

﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء : ١٢٥]

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنعام : ١٦١]

﴿ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [يوسف : ٣٨]

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣]

﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الحج : ٧٨]

.. ومترلة الخلة .. بين الله تعالى وبين مخلوقٍ من مخلوقاته ، لم ينلها إلا إبراهيم عليه

السلام ..

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

﴿ وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٥]

.. ولذلك .. نرى أنه لا يجوز للمشركين أن يدخلوا المسجد الحرام ، بعد اتصافهم

بصفة الشرك ، وما ينتج عنها من نجس ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة : ٢٨]

.. ما نراه .. أن كلمة عام أضيفت في ذات رسم الكلمة لمسألة أخرى .. فكلمة :

﴿ عَامِهِمْ ﴾ تبين لنا أن العام المعني هنا هو عامٌ يتعلّق بالمشركين دون غيرهم ، وإلا لما

أضيف إليهم .. ونرى خلف كلمة ﴿ عَامِهِمْ ﴾ ورود كلمة ﴿ هَذَا ﴾ .. فللمشركين

أعوامهم المختلفة ، والمعني هنا في هذا النصّ ، هو عامهم هذا المتعلّق بدلالات النصّ المحيط

بكلمة ﴿ عَامِهِمْ ﴾ في هذه الآية الكريمة ..

.. كلمة عام تعني اكتمال حيثيات دورة كاملة للصفة المعنيّة في السياق المحيط بها ..

فالمشركون نجس ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ ، وهذه صفة (من مجموعة صفات)

يتّصفون بها ، ولا يخرجون منها إلا بالخروج من شركهم هذا ، وبالتالي ما داموا بهذه

الصفة فالله تعالى يمنع من اقتراهم للمسجد الحرام ﴿ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ ،
وسبب ذلك هو أنّصافهم بهذه الصفة (الشرك وما ينتج عنه من نجس) .. فسبب منعهم
هو هذه الصفة ، ولو أنّهم خرجوا من هذه الصفة لما منعوا ..

.. ولا مانع من اقتراهم من المسجد الحرام إن خرجوا من صفتهم هذه : ﴿ عَامِهِمْ ﴾
﴿ هَذَا ﴾ .. من هنا نرى الحكمة من إضافة كلمة عام لهم : ﴿ عَامِهِمْ ﴾ ، وإتباع ذلك
بكلمة ﴿ هَذَا ﴾ ..

.. ولو كانت كلمة عام تُطلق على السنة القمرية - كما زعم بعضهم - لما أضيفت
للمشركين ﴿ عَامِهِمْ ﴾ ، ولما أُتبعَت بكلمة ﴿ هَذَا ﴾ .. فالسنة القمرية تمرُّ على
الجميع ، وليست خاصّة بالمشركين والنجس الذي يتصفون به ..

.. إذاً .. العبارة القرآنية ﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ ، تعني : بعد هيئة صفة حالهم هذا ،
وصفة دورة شركهم هذه وما تنتج من نجس .. وإلاً - كما قلنا - لما أضيفت كلمة عام
لهم ﴿ عَامِهِمْ ﴾ ، ولما أُتبعَت بكلمة ﴿ هَذَا ﴾ .. وقد بيّنت ذلك ، في بحث : ألف
سنة إلاّ خمسين عاماً ..

.. ومما يتعلّق بـ ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، ليس فقط تحديد البيت كمكان هجره الناس
من عصر آدم ، فحدّده إبراهيم ورفع قواعده ، إنّما أيضاً تحديد الحجّ إليه كزمان له وقته
المحدّد كلّ عام ، وتحديد المناسك تحديداً استمرّ إلى نزول القرآن الكريم ، ولم يتغيّر بعد
نزول القرآن الكريم .. فقد طلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى رؤية المناسك ،
وبصيغة الجمع ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ، حينما رفع القواعد من البيت ومعه إسماعيل ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ١٩

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ البقرة : ١٢٧ - ١٢٨ ﴾

.. فالعبارة ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ واضحة في هذا الأمر .. وتعني علم مناسك الحج ..

.. وقوله تعالى التالي يؤكد ذلك ..

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٧﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٨﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ

وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا

وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ

الْعَتِيقِ ﴿ الحج : ٢٧ - ٢٩ ﴾

.. العبارة ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ تعود على إبراهيم عليه السلام ، ومن بعده -

كإسقاط - على محمد ﷺ وكل داعية يدعو بكتاب الله تعالى ، فالخطاب المباشر ﴿ أَنْ لَا

تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ لا شك يعود على إبراهيم عليه السلام ، وكذلك الخطاب

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ كونه معطوفاً عليه ، فالسياق كله يتعلق أولاً بكونه خطاباً

من الله تعالى موجّهاً لإبراهيم عليه السلام ..

.. وجاء القرآن الكريم مثبّثاً لذلك ، حيث ثبت مكان البيت وزمان الحج والشعائر

المذكورة إلى قيام الساعة ، مع تصحيح بعض ما يجب فعله لإتمام الحج والعمرة ..

.. بيت الله تعالى مكانٌ مقدّسٌ له خصوصيّةٌ تميّزه عن أيّ مكانٍ على وجه الأرض .. وهو - في الوقت ذاته - قيمةٌ روحيةٌ تتعلّقُ بالفطرة النقيّةُ ، كمشتركٍ إنسانيٍّ موجودٍ بنسبٍ مختلفةٍ في نفوس الناس .. فإضافةً لكون حجّ البيت حقّاً لله تعالى على كلّ الناس ، فإنّ الاتّجاه إلى بيت الله تعالى الحرام في الصلاة ، له تعلّقه بكلّ ذلك ..

.. الاتّجاه إلى بيت الله تعالى في الصلاة ، ليس عبثاً ، وإنّما لوصل نور الصلاة لأيّ إنسانٍ من أيّ مكانٍ على وجه الأرض ، إليه ، ليجتمع النور من كلّ بقاع الأرض فيه ، فيصعد في حزمةٍ واحدةٍ إلى الله تعالى ، كون بيت الله تعالى جزءاً من الصلة الدائمة مع السماء .. وبالتالي فالعبادة فيه ، حيث الإنسان يُوجد فيه نفساً وجسداً ، يعني أنّه كنفسٍ وجسدٍ داخل حزمة النور ، وداخل ساحة الاتّصال المباشر مع السماء ..

.. في الرسائل السابقة (قبل الرسالة المحمّولة بالقرآن الكريم) ، كان الجزء الإلهي يُترنل على الأقدام مباشرةً ، كغرق قوم نوح ، وكغرق فرعون وجنوده ، وغير ذلك من الجزء الذي بيّنه القرآن الكريم لنا .. وكلّ ذلك له تعلّقه بكون المعجزات في الرسائل السابقة حسنيّةً ، تنتمي لعالم الخلق الخاضع للزمان والمكان ، ومنفصلة عن المناهج .. لكن .. بعد نزول الرسالة الخاتمة (رسالة القرآن الكريم) ، حيث المنهج والمعجزة يلتحمان في صياغة النصّ القرآني ، المنتمي لعالم الأمر ، أصبح ما بين خطايا الأقدام الكافرة (كأقوام) بمنهج الله تعالى من جهة ، والجزء المقابل لذلك من جهةٍ أُخرى ، مسافة هي - بشكلٍ عام - الدنيا هذه التي قوامها عالم الخلق ..

.. لكن .. في بيت الله تعالى ، خصوصيّةٌ تميّزه - في هذا الأمر - عن أيّ مكانٍ على وجه الأرض .. فكون الإنسان فيه (جسداً ونفساً) داخل حزمة النور الصاعدة إلى السماء ، وكون ما يصعد إلى السماء في هذه الحزمة ليس فقط العمل ، وإنّما أيضاً صورة الإنسان كونه داخل حزمة النور ، فإنّه من يُردّ فيه بالحادٍ بظلمٍ ، ولو بمجرد إرادة ، بما

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢١

يخالف الخلاص لله تعالى ، من شركٍ وصدٌّ عن سبيل الله تعالى فيه ، يُذقه الله تعالى عذاباً أليماً ..

﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعِكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ

بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥]

.. وبيت الله تعالى ، سُمي بالمسجد الحرام بعد مبعث الرسول محمد ﷺ ، وهذا له تعلقه بإعادة بعث المناسك ذاتها ، التي استمرت من عصر إبراهيم عليه السلام ، حيث تبتها القرآن الكريم ، ويُنَّ ما يجب إتمامه ، وتكفل الله تعالى بحفظ ذلك إلى قيام الساعة .. ما أودُّ قوله .. وجود الإنسان داخل بيت الله تعالى (المسجد الحرام) يختلف عن وجوده في أيِّ مكانٍ آخر ، فهو (نفساً وجسداً) تحت النور مباشرة ، وفي المكان ذاته الذي منه يصعد نور الصلوات إلى السماء ، وعبادته فيه مختلفة عن العبادة في أيِّ مكانٍ آخر ، فالإحرام في بيت الله تعالى - حيث تجتمع خصوصيتا المكان والزمان - أمرٌ لا يحتل التراجع قبل إكمال الشعيرة ، كون المحرم في بيت الله تعالى وحضرته الروحية .. من هنا نرى أن الإنسان (نفساً وجسداً) والعبادة التي يقوم بها في بيت الله تعالى ، أقرب ما يكون إلى النور ذاته ، الذي ترتفع به الصلوات .. ومن هنا .. نرى القيمة الدلالية المحمولة بكلمة : ﴿ لِلَّهِ ﴾ تعالى ، في العبارة القرآنية : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ..

.. وما يؤكِّد ذلك هو العبارات التالية لهذه العبارة في الآية الكريمة ، فالعبارة التالية هي

: ﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ .. ونرى فيها الفاء الفصيحة في ﴿ فَإِنْ ﴾

، إن شرطية جازمة .. ﴿ أَحْصَرْتُمْ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول في محل حزم فعل الشرط

.. ﴿ فَمَا ﴾ الفاء رابطة ، (ما) اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، وخبره محذوف بتقدير

: فعليكم ما استيسر من الهدى ، والجملة في محل حزم جواب الشرط .. ﴿ اسْتَيْسَرَ ﴾

﴿ وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٢

فعل ماض ، وجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب .. ﴿ مِنْ أَهْدَى ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف بحال ، بتقدير : كائناً من الهدي ..

.. وكلمة ﴿ أَحْصِرْتُمْ ﴾ نراها بصيغة المبني للمجهول ، وتحمل دلالة منع لإتمام هاتين الشعيرتين بسبب خارج عن إرادتنا ، بسبب حاصرٍ ما ، يمنع من إتمام العبادة في بيت الله تعالى ، يجعل قاصد بيت الله تعالى ليس مطمئناً وليس قادراً على ذلك ، بدليل العبارة في ذات سياق الآية ﴿ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ أَهْدَى ﴾ ..

.. إذا .. من شرع بالحج (أو العمرة) لا يستطيع أن يتحلل قبل نهاية الفريضة ، وإن تعرض لإحصارٍ يمنعه من متابعة هذه الفريضة ﴿ أَحْصِرْتُمْ ﴾ ، فعليه : ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ أَهْدَى ﴾ .. والهدي لم يرد في كتاب الله تعالى إلا متعلقاً ببيت الله تعالى ..

﴿ وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ أَهْدَى وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَهْدَىٰ حِلَّهُ..... فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ أَهْدَى ﴾ [البقرة : ١٩٦]
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَى ﴾ [المائدة : ٢]
﴿ تَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة : ٩٥]
﴿ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَأَهْدَى وَالْقَلْبَيْدِ ﴾ [المائدة : ٩٧]
﴿ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَهْدَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ ﴾ [الفتح : ٢٥]

.. فالهدي جاء بهذه الصيغة التي تحمل معنى واسطة التقرب إلى الله تعالى ، كون الأمر يتعلّق بفريضة تتمُّ تأديتها تحت النور مباشرة ، كما بيّنا ..

.. وهنا .. العبارة القرآنية : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَهْدَى حِلَّهُ ﴾ ، هل هي متعلّقة فقط بالمعنيين بقوله تعالى في العبارة السابقة لها مباشرة : ﴿ فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٣

﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ، أم أنها معطوفة على العبارة الأولى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ .. أم أنها تتعلق بالعبارتين معاً ؟ ..

.. هذه العبارة : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ ، نرى فيها المفعول به : ﴿ مَحَلَّهُ ﴾ ، اسم مكان ، واسم زمان ، في الوقت ذاته ؟ ..

.. فهذه الكلمة : ﴿ مَحَلَّهُ ﴾ بالنسبة للذين أُحصروا اسم زمان ، للزمن الذي يحصل فيه التحلل بتقديم الهدى ، فصُدُّ الكافرين للمؤمنين من أن يبلغ الهدى مَحَلَّهُ ، هو منع لبلوغ الهدى مَحَلَّهُ ..

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ ﴾ [الفتح : ٢٥]

.. فكلمة ﴿ وَالْهَدْيِ ﴾ معطوفة على الضمير المنصوب في كلمة ﴿ وَصَدُّوكُمْ ﴾ ، أو مفعول معه ، والواو للمعية .. ﴿ مَعَكُوفًا ﴾ حال .. النتيجة .. أن الهدى مُنع من بلوغ مَحَلَّهُ ..

وكلمة ﴿ مَحَلَّهُ ﴾ في العبارة ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ هي بالنسبة للذين يشرعون بهاتين الشعيرتين في البيت بأمان ، اسم مكان ، حيث محل الهدى هو البيت العتيق ..

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٣﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢ - ٢٣]

.. والعبارة ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ للحالتين ، تبين أن التحلل لا يجوز قبل تقديم الهدى وبلوغه مَحَلَّهُ ..

.. والعبارة القرآنية ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ ، هي أيضاً متعلّقة في الوقت ذاته بالذين أُحصروا ، والذين

يشرعون بالشعيرة في بيت الله تعالى بأمان .. فكلاهما .. من كان مريضاً أو به أذى من رأسه ، واحتاج لما يختلف عن متطلبات أداء هذه الشعيرة ، فعليه فدية هي : ﴿ مِّنْ صِيَامٍ

أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ ..

.. هنا .. العبارة ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾ تحمل أكثر من

دلالة في الوقت ذاته .. فلربما يكون المحرم مريضاً ومضطرباً ومحتاجاً إلى ما يخالف بعض ضروريات الإحرام ، ولربما يحتاج إلى دواء أو ما يؤدّي إلى حلق رأسه قبل التحلّل ، وهنا يفعل ذلك بشرط الفدية .. ولربما العكس لا يستطيع أن يحلق رأسه للتحلّل بسبب مرض أو أذى من رأسه وهنا - أيضاً - يفعل ذلك بشرط الفدية ..

.. وهنا الصياغة مختلفة عن العبارة السابقة ، ففي العبارة السابقة لا يتمّ حلق الرأس قبل تقديم الهدى وبلوغه محلّه .. بينما هنا ، التقدير : فحلق (أو لم يستطع أن يحلق) ، فعليه فدية ... هنا أُحرّث الفدية عن الترخيص ..

.. وما نراه أنّ الفدية التي هي أحد الأمور الثلاثة ﴿ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

، تُركت مفتوحة ، تُقدَّر بحالتها ، في كلّ زمان ..

.. والعبارة التالية مباشرة : ﴿ فَإِذَا أُمِنْتُمْ ﴾ .. نراها تُبدأ بالفاء الاستنافية ، في كلمة

﴿ فَإِذَا ﴾ ، حيث (إذا) تعني وقوع الأمان دون أيّ شك ، وهي بذلك تختلف كثيراً عن

كلمة (إن) ، حيث كلمة (إن) تفيد احتمال وقوع المسألة وعدم وقوعها في الوقت ذاته ، بينما (إذا) تحمل حال حتمية وقوع المسألة .. وقد بيّنت ذلك في كتيبي ، بما فيه

الكفاية .. وجملة ﴿ أُمِنْتُمْ ﴾ في محل جر بالإضافة ..

.. وهنا انتقلنا إلى مرحلة الأمان .. سواء لِمَنْ شرع بالشعيرة بأمان دون حصار من أحد ، أم بالنسبة لمن أُحصر وزال عنه الحصار .. ولو جاءت العبارة بالصيغة : ((فإن أمنتم)) لكان الأمر محصوراً فقط بالذين أحصروا ، ليكون المعنى : في حال احتمال أنَّهم أمنوا .. لكن بورود الصيغة : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ ﴾ ، فإن الأحكام خلف هذه العبارة القرآنية تتعلّق بحالة الأمان الواقع ، سواء لِمَنْ شرع بالشعيرة بأمان دون حصار ، أم بالنسبة لِمَنْ أُحصر وزال عنه الحصار ..

.. وتأتي العبارة القرآنية ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

، لتصف لنا من تمّتع بالمحظورات بعد عمرة تحلّل منها في أشهر الحجّ ، حتّى وصوله مرحلة إحرام الحجّ ، بأنّه عليه ما استيسر من الهدى .. فكما بيّنا .. أشهر الحجّ لا يجوز التحلّل فيها لمن دخل بالإحرام ، قبل إتمام ما تمّ الإحرام من أجله ، فمن اعتمر فيها ، وأراد التحلّل قبل انتهاء شهور الحجّ ، عليه : ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ..

.. العبارة القرآنية ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾ ، نرى فيها أنّ العمرة ليست

مضافة للمعنى : ﴿ فَمَنْ ﴾ ، وليست نكرة (بَعْمُرَةٍ) ، إنّما ترد معرفةً بأل التعريف :

﴿ بِالْعُمْرَةِ ﴾ ، وكذلك كلمة : ﴿ الْحَجِّ ﴾ .. ونرى الباء في كلمة ﴿ بِالْعُمْرَةِ ﴾ تفيد

الواسطة والوسيلة .. والتمتّع هو ممارسة المحظورات في حال التحلّل من عمرة في زمن الحجّ .. وباء الواسطة والوسيلة في كلمة ﴿ بِالْعُمْرَةِ ﴾ ، وكلمة (العمرة) المحرورة بها ،

متعلّقان بـ ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾ .. بمعنى : تمتّع بواسطة تحلله من العمرة ،

ويأت الجار والمحرور ﴿ إِلَى الْحَجِّ ﴾ متعلّقان بمحذوف حال ، بتقدير : واستمرّ تمتّعه

بالمحظورات إلى الحجّ .. بتقدير : فمن تمتّع بسبب العمرة التي تحلّل منها ، إلى الحجّ ..

.. وهنا .. سنقف عند قول الموروث ، بأن شرط الهدى لمن تمتع بالعمرة إلى الحج ، هو أن يحجَّ في ذات السنة ، فإن حجَّ في سنةٍ أُخرى فلا يلزمه الدم .. واقتبس فيما يلي النصَّ التالي من تفسير الرازي فيما يخصَّ تفسير هذه العبارات القرآنيَّة :

[[لو جوب دم التمتع خمس شرائط أحدها : أن يقدم العمرة على الحج ، والثاني : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، فإن أحرم بها قبل أشهر الحج وأتى بشيء من الطواف وإن كان شرطاً واحداً ثم أكمل باقيه في أشهر الحج وحج في هذه السنة لم يلزمه دم لأنه لم يجمع بين النسكين في أشهر الحج ، وإن أحرم بالعمرة قبل أشهر الحج ، وأتى بأعمالها في أشهر الحج ، فيه قولان : قال في « الأم » وهو الأصح : لا يلزمه دم التمتع لأنه أتى بركن من أركان العمرة قبل أشهر الحج ، كما لو طاف قبله ، وقال في « التقديم والإملاء » : يلزمه ذلك ويجعل استدامة الإحرام في أشهر الحج كابتدائه ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : إذا أتى ببعض الطواف قبل أشهر الحج فهو متمتع إذا لم يأت بأكثره ، الشرط الثالث : أن يحج في هذه السنة ، فإن حج في سنةٍ أُخرى لا يلزمه الدم ، لأنه لم يوجد مزاحمة الحج والعمرة في عام واحد ، الشرط الرابع : أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى : { ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } وحاضر المسجد الحرام من كان أهله على مسافة أقل من مسافة القصر ، فإن كان على مسافة القصر فليس من الحاضرين ، وهذه المسافة تعتبر من مكة أو من الحرم ، وفيه وجهان ، الشرط الخامس : أن يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فإن عاد إلى الميقات فأحرم بالحج لا يلزمه دم التمتع لأن لزوم الدم لترك الإحرام من الميقات ولم يوجد ، فهذه هي الشروط المعتبرة في لزوم دم التمتع . [[.. انتهى الاقتباس ..

.. هنا .. ألا يحقُّ لنا أن نسأل : أليست الصياغة المفترضة المناسبة لقول الفقهاء هي : ((فَمَنْ تَمَتَّعَ بِعُمْرَةٍ إِلَى حَجٍّ)) ؟ .. بمعنى : فمن تمتع بتحلل من عمرة قام بها ، إلى ميقات حج قام به .. وفي العبارة القرآنيَّة : ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾ ، أليس

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٢٧

تعريف العمرة بأل التعريف ﴿ بِالْعُمْرَةِ ﴾ يعني جنس العمرة ، وتعريف الحج بأل التعريف ﴿ الْحَجَّ ﴾ يعني ميقات الحج ؟ .. بمعنى : فمن تمتع بالتحلل من العمرة كجنس عبادة ، إلى ميقات الحج .. وبالتالي .. فالمعني هو : التمتع بالتحلل من العمرة إلى ميقات الحج ، سواء حج المعتمر ، أم لم يحج .. تنتظر الإجابة ممن يعتبرون أنفسهم ناطقين رسميين باسم الله تعالى ، حاملين منه جلّ وعلا وكالة حصرية غير قابلة للعزل ..

.. وبعد ذلك تأتي العبارة : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ ..

لتبين لنا حكم من لم يجد هدياً ، بأنه عليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة حينما يرجع إلى أهله ..

.. والعبارتان التاليتان : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ .. خلط فيها الموروث خلطاً عجيباً .. واقتبس فيما يلي النص التالي من كتابي : المعجزة الكبرى ، فيما يخص هذا الأمر ..

]] .. وجذر المشكلة يكمن في قول المفسرين بأن العبارة القرآنية : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ تستثني من الصوم المذكور هنا ، من أهله حاضروا

المسجد الحرام .. فبناءً على هذا القول غير السليم تكون العبارة القرآنية ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ لا تعني إلا أن : (٣ + ٧ = ١٠) ، وهذا - بالفعل - لا يليق بكلام الله

تعالى المطلق ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ما تمّ تغييره خلال التاريخ ، هو أن الأيام العشرة المفروضة ككفارة في الحالة التي بين أيدينا ، والتي لا بُدَّ من صومها كاملةً ، والمفروضة على كل من لم يستيسر الهدى بين

يديه ، سواءً كان أهله حاضري المسجد الحرام ، أم لم يكونوا حاضري المسجد الحرام ..
 هذه العشرة الكاملة ، جزأها الله تعالى إلى : ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾
 ، كعطاءٍ منه جلّ وعلا لمن أهله ليسوا حاضري المسجد الحرام .. وهذا ما نقرؤه بشكل
 جليّ في لام الاستحقاق والعطاء في كلمة ﴿ لِمَنْ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ
 يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ .. فالله تعالى لم يقل : (ذَلِكَ عَلَى مَنْ لَمْ
 يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ..

.. هذه الأيام العشرة الكاملة التي لا بُدّ من صومها في الحالة التي بين أيدينا ، بصومها
 من أهله حاضرو المسجد الحرام ، دون تفريق ما بين ثلاثة أيام في الحج وسبعة حين
 الرجوع ، لأنّ هؤلاء يقطن أهلهم عند المسجد الحرام ، ورجوعهم إلى أهلهم لا يتطلّب
 أياماً كما هو الحال بالنسبة لمن أهله ليسوا حاضري المسجد الحرام ..

وبالتالي فالعبارة القرآنيّة ﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ لا ترتب عليهم زمناً وجهداً مُعتبراً ، كما
 هو الحال بالنسبة لمن أهله ليسوا حاضري المسجد الحرام ، وما يعينهم هو قوله تعالى
 ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ ﴾ ، لأنّ أهلهم حاضرو المسجد الحرام .. فالأيام السبعة
 بصومها هؤلاء عند أهلهم حاضري المسجد الحرام ، مع الأيام الثلاثة ، لأنّه لا فاصل
 بينهم وبين رجوعهم إلى أهلهم .. هذه الحقيقة نراها جليّة في المسألة الكاملة التالية :

$$178 = \langle \text{ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ} \rangle$$

$$183 = \langle \text{يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} \rangle$$

$$19 \times 19 = 361 = 183 + 178$$

.. وبالتالي فالكمال المعنيّ ليس في ماهيّة العشرة كونها عشرة ، إنّما في كون العطاء
 الإلهيّ بتجزئة الأيام العشرة إلى ثلاثة في الحج وسبعة حين الرجوع ، لا ينتقص من الأجر

شيئاً ، بمعنى أنهم بذلك العطاء حصلوا على كمال أجر الكفارة التي يحصل عليها من صامها كاملة في الحج ..

$$5 \times 19 = 95 = \langle \text{تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} \rangle$$

.. فالْحُكْمُ الْقُرْآنِيُّ : ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ، حكمٌ عامٌ للجميع ، سواء من

كان أهله حاضري المسجد الحرام ، أم من لم يكونوا حاضري المسجد الحرام .. وبالتالي

فمن لم يستيسر من الهدى لتطبيق هذا الحكم ، من الحالتين ، عليه الصيام ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

فَصِيَامٌ ﴾ ..

.. ولذلك نرى أن هاتين العبارتين القرآنيتين المتوازنتين في المعنى والدلالات ، تتوازنان

في القيم العددية بينهما :

$$113 = \langle \text{فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} \rangle$$

$$113 = \langle \text{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ} \rangle$$

.. أما القول بأن مَنْ أهله حاضروا المسجد الحرام معفي من الصوم ، فهذا قولٌ تردّه

الصياغة اللغوية للعبارات القرآنية في هذه الآية الكريمة ، فلو كان الأمر مجرد أمرٍ خاصٍّ

على مَنْ أهله ليسوا حاضري المسجد الحرام ، ومجرد كفارةٍ خاصةٍ بهؤلاء ، لو كان الأمرُ

كذلك ، لَمَا كان هذا الأمرُ عطاءً وفسحةً يبدأ كما رأينا بلام الاستحقاق والعطاء :

﴿ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ..

.. إذا المسألة الكاملة : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ = $5 \times 19 = 95$ ، ليست

إيضاحاً لما هو واضح ، وليست حشواً لا فائدة منه ، كما يزعم المشككون بكتاب الله

تعالى ، متكئين على بعضٍ أخطاءٍ تفاسيرنا التاريخية المغلوطة .. [] .. انتهى الاقتباس ..

.. وتأتي العبارة الأخيرة في الآية الكريمة : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴾ ، حاملةً أمراً إلهياً ، بتقوى الله تعالى ، وتحذيراً من عقابه لمن يتعدى حدوده ..

.. الآية التالية لهذه الآية الكريمة تبدأ بالعبارة : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ .. ومن نافلة القول

أنَّ الحَجَّ كشعائر مفروضة ليس عين الأشهر ، والتقدير هو : الحَجُّ زمنُه أشهر .. فكلمة :

﴿ الْحَجُّ ﴾ مبتدأ ، وكلمة : ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره : (زمنه) ، لتكون

الجملة : ((زمنه ﴿ أَشْهُرٌ ﴾)) خبراً للمبتدأ : ﴿ الْحَجُّ ﴾ ..

.. وهنا .. سنقف عند كلمة : ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ بهذه الصيغة من الجذر (ش ، ه ، ر) ..

فما نراه في كتاب الله تعالى أن جميع مشتقات هذا الجذر اللغوي تتعلّق بالشهر ، ما بين

صيغ : المفرد ، والمثنى ، والجمع .. ودلالات الجذر (ش ، ه ، ر) ، تدور في إطار

الظهور والوضوح والبيان .. فما نعلمه من الشهر ، هو ما يظهر لنا ونشاهده - هنا على

الأرض - من منازل القمر التي نراها بأعيننا ، خلال أيام الشهر ..

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩]

.. فالشهر بالنسبة لنا (على الأرض) ، كمخاطبين بهذه الآيات الكريمة ، هو -

بشكل عام - ما نشاهده من منازل القمر ((٢٩ منزلة أو ٣٠)) ، وما يرافق ذلك من

زمنٍ يمتدُّ شهراً كاملاً كما نعلم [(٢٩ × ٢٤ ، ، أو ٣٠ × ٢٤) ساعة] ..

.. ومن نافلة القول أن الشهر كزمنٍ تتفاعل معه ، هو مسألة تتعلّق بالقمر ودورانه

حول الأرض ، فما نراه من منازل القمر في الشهر ناتج - في النهاية - عن دوران القمر

حول الأرض .. فالشهر ((كـشـهـر رمضان مثلاً حيث هو الشهر الوحيد الذي ذُكر اسمه

صراحة في كتاب الله تعالى)) هو الزمن المرافق لما نراه من دوران للقمر حول الأرض

دورة كاملة ، من النقطة التي هي بداية رؤيته في أول الشهر ، إلى النقطة التي لا يُرى بها

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣١

وهي نهاية الشهر .. ليبدأ بعده شهر آخر .. وهكذا .. إلى أن يتم العدد (١٢) شهراً .. لتعود بعد ذلك هذه الدورة من جديد (١٢) شهراً آخر ، وهكذا إلى قيام الساعة وكون اختلاف الليل والنهار من يوم لآخر يعطينا حيثيات اختلاف هويّات الأيام ، فإنّه لا داعي لأن يقول تعالى لنا : إنّ عدة الأيام (٣٦٥) يوماً ، واكتفى كتاب الله تعالى بإشارة لذلك ، هي ورود كلمة يوم مفردة (٣٦٥) في كتاب الله تعالى .. فكلُّ نهاية هذه الأيام أَل (٣٦٥) تعود الدورة من جديد وهكذا ..

.. وأيضاً .. لم يقل الله تعالى لنا في كتابه المقروء (القرآن الكريم) : إنّ عدة أيام الشهر (٢٩ أو ٣٠) يوماً ، لأنّ ذلك معلومٌ من كتاب الله تعالى المنشور ، عبر رؤية منازل القمر ، واكتفى بكون كلمة شهر بصيغة المفرد ترد (١٢) مرّة لكن .. كيف نعلم انتهاء دورة الشهور ، لنبدأ العدّ من جديد ؟ .. يعني : مرّ شهر ، مرّ شهران ، ثلاثة أشهر إلى متى تنتهي دورة هذه الشهور ، لنعود في عدّنا إلى الشهر الأوّل الذي بدأنا منه العدّ ؟ .. هنا .. نرى الإجابة في كتاب الله تعالى المقروء :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [التوبة : ٣٦]

.. إذا .. ﴿ الشُّهُورِ ﴾ ، عددها : ﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ .. وتحديدتها بذلك ، يعني أنّ

كلّ شهرٍ منها له ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ هويّة تميّزه عن أَل (١١) شهراً الأخرى ، مسجّلة ﴿ في كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ، من ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .. وإلاّ لما كان هناك معنى من كونها محدّدة ب (١٢) شهراً دون زيادة أو نقصان ، كونه في كلّ دورة للقمر حول الأرض يتكوّن شهر ، والقمر يدور باستمرار دون انقطاع ، وبالتالي فالشهور متتالية مع الزمن دون انقطاع ، منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض ، وبالتالي فعدم إعطاء هويّة لكلّ شهر تميّزه عن غيره من باقي الشهور أَل (١١) الأخرى ، يعني أنّه هناك عددٌ غير

محدود من الشهور ، يساوي عدد دورات القمر حول الأرض منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض إلى قيام الساعة ، أو أنه هناك شهر واحد ، يتكرر باستمرار في كل دوراته حول الأرض منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض إلى قيام الساعة ، أو أنه هناك عدد هويات يختلف عن العدد (١٢) للشهور التي يخبرنا الله تعالى عنها في كتابه الكريم .. وبالتالي فتحديدها ب (١٢) شهراً هو - تعالى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً - غير صحيح ..

.. إذاً .. الشهور المتتالية ، في كل دورة من دوراتها المتتالية ، كهويات مستقلة يختلف فيها كل شهر عن غيره من الشهور الأخرى ، كما يبين لنا كتاب الله تعالى ، عددها هو : **﴿أَتْنَا عَشْرَ شَهْرًا﴾** .. ولذلك .. نرى - في كتاب الله تعالى - أن مجموع ورود كلمة شهر بصيغة المفرد : **﴿شَهْرٌ﴾** ، ، **﴿الشَّهْرُ﴾** ، ، **﴿شَهْرًا﴾**] هو (١٢) مرة ، تقابل الهويات ال (١٢) للشهور ..

.. إن ورود كلمة اليوم - في كتاب الله تعالى - معرفةً بأل التعريف : **﴿الْيَوْمَ﴾** ، وأيضاً معرفةً تعريف إضافة : **﴿يَوْمِكُمْ﴾** ، ، **﴿يَوْمَهُمْ﴾** ، ،] هو انعكاسٌ لكون اليوم مفهوماً مدركاً بالنسبة لنا ، من بداية محددة إلى نهاية محددة ، كهوية مختلفة يتميز بها اليوم عن الأيام (ال ٣٦٤ الأخرى) السابقة واللاحقة له ... وكذلك ورود كلمة الشهر معرفةً بأل التعريف : **﴿الشَّهْرُ﴾** ، وأيضاً معرفةً تعريف إضافة : **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾** ، هو انعكاسٌ لكون الشهر مفهوماً مدركاً بالنسبة لنا ، من بداية محددة إلى نهاية محددة ، كهوية مختلفة يتميز بها الشهر عن الشهور (ال ١١ الأخرى) السابقة واللاحقة له ..

.. وهذا التطابق ما بين كتابي الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) والمنشور (الكون) ، نراه في ورود كلمة ﴿ سَنَةٌ ﴾ نكرة في جميع مرّات ورودها ، كونه لا توجد هويّة تميّز أيّ سنة عن السنين السابقة واللاحقة لها ، كما هو حال اليوم ، وحال والشهر .. فكلمة ﴿ سَنَةٌ ﴾ : لم ترد ولا مرّة في كتاب الله تعالى معرفةً بأل التعريف ، ولا تعريف إضافة ..

﴿ يَوْمٌ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [البقرة : ٩٦]

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة : ٢٦]

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧]

﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤]

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥]

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ ... ﴾ [الأحقاف : ١٥]

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

[المعارج : ٤]

.. بمقدار ما يخاطب الله تعالى الإنسان البسيط (الذي يعيش في ساحة كتاب الله تعالى المنشور) فيرى بعينه الشروق والغروب واختلاف منازل القمر ، وهو في الصحراء .. في الوقت .. ذاته يخاطب العلماء الذين يعيشون في ساحة كتاب الله تعالى المنشور ذاته ، فيرون بأعينهم الملاحظات الفلكيّة الظاهرة ذاتها .. فكلاهما مخاطب بتنفيذ شعائر العبادات المتعلّقة بأزمة (كشهر رمضان ، وكأشهر الحج) .. والله تعالى عندما أنزل أحكامه قبل (١٤) قرناً ، لم يُترها أحكاماً مؤجّلة التنفيذ قروناً ليست قليلة ، حتى يغزو الإنسان الفضاء ويكتشف بعض الحقائق الفلكيّة ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٤

.. العبارة القرآنية : ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، في قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ ، لم ترد عبثاً .. وكذلك العبارة : ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ، وكذلك العبارة : ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .. كلُّ ذلك .. يؤكدُ أنَّ هويَّة كلِّ من الشهور أُل (١٢) ، والتي تميّزه عن الشهور أُل (١١) الأخرى ، تتعلّق بعلم الله تعالى ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، ومسجّلة في كتاب الله تعالى ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ، منذ خلق السماوات والأرض ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ، بعيداً عن التفاعل البشري معها ، وعن إدراكهم لحيشيات هويّة كلِّ شهرٍ منها .. فعند الله تعالى ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ علم الهويّات الخاصّة بالشهور ، والتي تجعل منها ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ دون زيادة أو نقصان ، تتكرّر كلّما انتهت دورتها ، إلى قيام الساعة ..

.. إذاً هذه الشهور التي نعلمها ، ونورّخ بها ، اسمها في كتاب الله تعالى ﴿الشُّهُورِ﴾ .. وعددها (١٢) شهراً .. وهذه الصيغة ﴿الشُّهُورِ﴾ على وزن (فُعُول) ، هي صيغة ظاهرة في كتاب الله تعالى لجمع المفرد (فَعْل) .. مثلاً : [[قَلْبٌ : (قُلُوبٌ) ، ، (صَدْرٌ) : (صُدُورٌ) ، ، (عَيْنٌ) : (عُيُونٌ) ، ، (نَفْسٌ) : (نَفُوسٌ) ، ، (عَرْشٌ) : (عُرُوشٌ) ، ، (بَيْتٌ) : (بُيُوتٌ) ، ، (رَأْسٌ) : (رُءُوسٌ) ، ، (وَجْهٌ) : (وُجُوهٌُ) ، ، (قَصْرٌ) : (قُصُورٌ) ، ، (قَبْرٌ) : (قُبُورٌ)]]

.. ونحن لا نقول بأنّ كلَّ مفردٍ على وزن (فَعْل) يُجمَع (فُعُول) أو يُجمَع (أفْعَل) .. أبداً .. نحن نقول : المفرد على وزن (فَعْل) حينما يُجمَع على وزن (فُعُول) ،

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٥

يكون الأمر متعلقاً بوصف حيثيات ذاتيته هو ، وليس من زاوية التفاعل مع حيثية أخرى :

[[﴿عَيْنٌ﴾ : ﴿عُيُونٍ﴾ ، ، ﴿نَفْسٌ﴾ : ﴿نُفُوسٌ﴾ ، ، ﴿شَهْرٌ﴾ : ﴿شُهُورٌ﴾]]

.. فالعيون هي جمع للعين ، كما ينبع من الأرض ، والنفوس هي جمع للنفس ، كحيثية مجردة عن تفاعلها مع ذاتها وغيرها ، وقد وردت مرتين في كتاب الله تعالى ..

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴾

[الإسراء : ٢٥]

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكاوير : ٧]

.. هنا العبارة ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ ، تصوّر النفوس من زاوية علم الله

تعالى بها ، كذوات مجردة عن تفاعلها مع ذاتها وغيرها من الذوات ..

.. لكن .. هذا المفرد (فَعْلٌ) ، حينما يُجمع على وزن (أَفْعُلٌ) ، فإن صيغة الجمع

تكون وصفاً للحيثية من زاوية التفاعل مع ذاتها وغيرها من الذوات .. فالعين (نبع الماء

من الأرض) التي هي حيثية بذاتها مستقلة عن كونها وسيلة للتفاعل مع أي حيثية ، تُجمع

(عُيُونٌ) ، بينما العين التي تتعلق بالذات الإنسانية ((أو بالله تعالى)) كواسطة تفاعل

للذات ، تُجمع أعين .. والنفس التي جمعت (نفوس) لتصور النفس من زاوية علم الله

تعالى بها ، كذوات مجردة عن تفاعلها مع ذاتها وغيرها من الذوات ، نراها هي ذاتها وفي

إطار تفاعلها مع ذاتها وغيرها من الذوات ، تُجمع (أنفس) ..

.. وللمقارنة مع العبارة : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ ، لننظر في النصوص

التالية ، حيث تُجمع فيها النفس بالصيغة : (أنفس) ، كون التصوير القرآني هو من

زاوية علم الله تعالى بها ، كتفاعلها مع ذاتها وغيرها من الذوات ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٦

﴿ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفِثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ
عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْقَن
بِشْرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧]

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا
تَعْرِمُوا عُقُودَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ
لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمَمَنْ
الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ٣١]

.. وكلمة ﴿ بَحْرٍ ﴾ على وزن (فَعْل) عندما تُجمع على وزن (أَفْعَل) : ﴿ أُنْحَرٍ ﴾ ،
فإنها تحمل وصفاً لتفاعل هذه الأبحر مع حيثية أخرى ، هي بحر تمدُّه بالمداد ..

﴿ وَلَوْ أَنْمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْْحَرٍ مَا
نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧]

.. والأمر ذاته بالنسبة للكلمتين [﴿ شُهُورٌ ﴾] ،، [﴿ أَشْهُرٌ ﴾] .. ففي حين تصوّر
كلمة ﴿ الشُّهُورِ ﴾ الدورات ال (١٢) المتميزة للقمر حول الأرض ، من زاوية علم الله
تعالى ، كونه عنده العلم بماهيّة هويّاتها ، ومن زاوية ما هو مسجّل في أمّ الكتاب ، منذ
خلق الله تعالى السموات والأرض ، بعيداً عن تفاعل البشر وحساباتهم في ذلك ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٧

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [التوبة : ٣٦]

.. نرى كلمة ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ تصوّر هذه الشهور ذاتها ، من زاوية تفاعل البشر معها ،

وحساباتهم وتواريخهم ..

.. وفي تفاعل البشر مع الأشهر بما يرونه - من على الأرض - من منازل للقمر ،

يتعاملون أحياناً مع الشهر كماهيّة خاصّة باعتباره واحداً من الهيئات المتميزة أل (١٢)

التي كلّ شهرٍ فيها ، يبدأ من المحاق وينتهي بالمحاق ، كما في صيام شهر رمضان ..

ويتعاملون أحياناً مع الشهر كنقطة علام يقيسون عليها ، كما هو حال حساب العدة

للمطلّقة والمتوفّي عنها زوجها ، حيث يتمّ الحساب من يومٍ ما داخل الشهر ، إلى اليوم

ذاته في الشهر الذي يليه ..

﴿ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٦]

﴿ يَتَرِيصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

﴿ وَالَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ

يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق : ٤]

.. فالمرأة التي يئست من الحيض ، والتي لم تحض ، عدّتها ثلاثة أشهر ، يبدأ العد من

اليوم الذي طلّقت فيه .. فإن طلّقت فرضاً في (١٠) رمضان ، يكون من (١٠)

رمضان حتى (١٠) شوال شهر ، ومن (١٠) شوال حتى (١٠) ذي القعدة شهر ،

ومن (١٠) ذي القعدة حتى (١٠) ذي الحجة شهر .. فتنتهي عدّتها في (١٠) ذي

الحجة ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٣٨

.. إذا .. كلمة : ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ تحمل احتمالات على عدد أيام السنة القمرية ، أي هناك

احتمال ل (٣٥٤) من الأشهر ، منها أل (١٢) شهراً التي جمعها كلمة : ﴿ الشُّهُورِ ﴾ ، والتي يبدأ كلُّ منها من أوَّل يوم في الشهر ، وينتهي في آخر يوم فيه فالشهور أل (١٢) حيث لكلُّ منها هويته التي تميّزه ، حيث لا يقبل كلُّ شهرٍ منها التداخل مع شهرٍ آخر ، هي جزء من : ﴿ الْأَشْهُرُ ﴾ ... لكن ... التفاعل البشري يكون من خلال : ﴿ الْأَشْهُرُ ﴾ .. ولذلك في جميع النصوص القرآنية المصوّرة للتفاعل البشري مع منازل

القمر كحيثيات للشهر ، نرى الجمع هو كلمة : ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ ..

.. وقوله تعالى التالي ، يبيّن لنا علاقة الأهله بالمواقيت والحجّ ، كمسألة يبقى السؤال عنها مفتوحاً ..

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩]

.. كلمة ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ نراها بصيغة المضارع ، وهذا يحمل دلالة على أنّ الأهله سيبقى السؤال عنها مطروحاً ، كون البشر لن يحيطوا بالجانب الفلكي المتعلق بدوران القمر حول الأرض ، ولا بماهية الهويات الخاصة بالشهور ، ولا بعلاقة الشهور بماهية العبادات الخاصة المفروضة فيها .. فهذه الأسرار سيبقى السؤال عنها مطروحاً إلى قيام الساعة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ ..

.. و ﴿ الْأَهْلُ ﴾ من الجذر (ه ، ل ، ل) .. وهل الشيء يعني : جاء .. وأهلاً بالشيء جيء به وقُدّم ..

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّمْتَةٌ وَالِدٌ وَوَالِدَةٌ وَأُمَّةٌ وَمَا أَمَلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٣]

.. و ﴿الْأَهْلَةَ﴾ هي جمع هلال ، والهلال ليس أوّل حال القمر ليلة أو ليلتين ،
 وآخر حاله ليلة أو ليلتين .. أبداً .. الهلال هو ما نراه بأعيننا من ظهور القمر وقدمه إلينا
 في كلّ ليلة ، بماهيّة تختلف عن باقي الليالي .. أي : الهلال هو منزلة من منازل القمر آل
 ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة ، والتي نشاهدها بأعيننا : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
 كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩] .. فكلّ منزلة من منازل القمر ، نعلمها من خلال
 رؤيتنا لظهور القمر وقدمه إلينا ، في كلّ ليلة ولننظر في قوله تعالى ..

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا
 بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

.. كون الشهر هو ما نراه - هنا من على الأرض - من منازل القمر آل ((٢٩ أو
 ٣٠)) منزلة ، فإنّ الشهر كمدة زمنيّة هو الزمن المقابل لانقضاء ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة
 ، وبالتالي فالعبارة القرآنيّة ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ تصوّر زمنًا مقابلًا لانقضاء أربعة أشهر قمرية
 ، كلّ واحد منها مدته تقابل انقضاء ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة من منازل القمر .. وكلمة
 ﴿ وَعَشْرًا ﴾ المعطوفة على العبارة القرآنيّة ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ ، تعني عشر منازل من منازل
 القمر في الشهر الخامس ، تضاف إلى الأشهر الأربعة التامة .. أي : ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ =
 ٤ × (٢٩ أو ٣٠) منزلة ، و ﴿ وَعَشْرًا ﴾ = (١٠) منازل .. لتكون العبارة القرآنيّة
 : ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ = ٤ × (٢٩ أو ٣٠) منزلة + (١٠) منازل ..
 .. وما نراه أنّ ورود الصيغة : ﴿ وَعَشْرًا ﴾ ، دون الصيغة : ((وَعَشْرَةً)) يؤكّد
 ذلك .. فلو كان الأمر متعلّقًا بالأيام بعيداً عن منازل القمر ، على الأقلّ - في هذه الحالة

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٠

المفترضة غير الصحيحة - لجاءت العبارة بالشكل : ((أربعة أشهر وعشرة)) ، كون كلمة أيام جمعاً لكلمة (يوم) المذكورة ، وهذا تناسبه الصيغة : ((عشرة أيام)) ..

.. بينما .. كون كلمة (منزلة) مؤنثة ، وكون الكلمة السابقة لكلمة ﴿ وَعَشْرًا ﴾

هي : ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ ، كجمع لشهر ، والشهر مكونٌ من ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة من منازل القمر ، فإنَّ كلمة ﴿ وَعَشْرًا ﴾ تعني عشر منازل ، من ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة من منازل القمر في الشهر الخامس التالي للأشهر الأربعة ..

.. إذا .. ﴿ الْأَهْلَةُ ﴾ في كلِّ شهر ((٢٩ هلالاً أو ٣٠ هلالاً)) ، والتي نراها هنا

على الأرض كمنازل للقمر ، هي : ﴿ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ، وفي هذا دليلٌ أنَّ الحجَّ كشعائرٍ محدَّدةٍ بعينها تتعلَّقُ بأيَّامٍ محدَّدةٍ ، يتمُّ علمها من خلال الأهلَّة ..

.. فلو كان الهلال مجرد إشارة لدخول الشهر ، لما كان من داعٍ لورود كلمة :

﴿ وَالْحَجِّ ﴾ ، بمعنى : ومواقيت للحجِّ .. كون معرفة أشهر الحج كدخول للشهر ،

داخلة في الجملة ﴿ مَوَاقِيتُ النَّاسِ ﴾ .. لكن .. الأهلَّة أمرٌ لا بدَّ منه لمعرفة منازل القمر وبالتالي الأيام داخل كلِّ شهر ، ومن المعلوم أن أركان الحج تتعلَّقُ بأيَّامٍ محدَّدةٍ بعينها من شهر ذي الحجَّة .. من هنا كانت الأهلَّة ضرورة لا بدَّ منها ليعرف الناس مواقيت الأيام داخل الأشهر ، وليعلموا أيَّام الحجِّ ، ليؤدِّوا بها فريضة الحج ..

.. من هنا .. الحجُّ ليس زمناً مجرداً عن العبادات في أشهره ، فقلوه تعالى : ﴿ الْحَجُّ

أَشْهُرٌ ﴾ ، نرى فيه كلمة : ﴿ الْحَجُّ ﴾ مبتدأ ، وكلمة : ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف

تقديره : (زمنه) ، لتكون الجملة : ((زمنه ﴿ أَشْهُرٌ ﴾)) خبراً للمبتدأ : ﴿ الْحَجُّ ﴾ ..

فالحجُّ ليس مجرد زمنٍ محدَّدٍ دون العبادات المحدَّدة المفروضة فيه ..

.. وورود الصيغة ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ يعني أن زمن الحج لا يقل عن ثلاثة أشهر تامة .. فكيف

إذاً يقولون : أشهر الحج هي : شوال ، وذو القعدة ، وعشرة أيام من ذي الحجة ؟ ..
 .. صحيح أن المناسك الأساسية تنتهي في اليوم العاشر من ذي الحجة ، وأن أيامها هي :
 (الثامن والتاسع والعاشر) من ذي الحجة .. لكن .. لو نظرنا في شهر ذي الحجة ،
 وإلى ما بعد العاشر منه ، لرأينا أنه في تلك الأيام يتم فيها ما يتصل بالحج ، كرمي الجمار
 في أيام التشريق ، والطواف المؤخر للمرأة بسبب حيض ، وحالات المتأخر عن أيام
 التشريق كما سنرى .. فالأولى حمل كلمة ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ على أشهر تامة ..

.. وهنا سؤال يطرح نفسه : مادامت المناسك الأساسية في الحج يتم عملها في أيام
 محدّدة ، ما بين الثامن والعاشر من ذي الحجة ، ومشمولة - كما سنرى بإذن الله تعالى -
 فيما تحمله دلالات كلمتي : [﴿ مَعْلُومَةٌ ﴾ ، ، ﴿ مَعْلُومَةٌ ﴾] ، ضمن إطار
 الأشهر المعلومة والأيام المعلومة .. وما دامت العبادات في الأيام الثلاث التالية لها (أيام
 التشريق) ، هي أيضاً محدّدة ، ومشمولة في دلالات كلمة : ﴿ مَعْدُودَاتٌ ﴾ ضمن إطار
 الأيام المعدودة .. وكلاهما في شهر واحد هو شهر ذي الحجة ... فلماذا إذاً ترد العبارة :
 ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ ؟ ..

.. نقول : سنرى بإذن الله تعالى في سياق تفسير هذه الآيات الكريمة ، أن من فرض
 على نفسه الحج في أي وقت من أشهر الحج ، ولو كان في اليوم الأوّل من شوال ، عليه
 ألا يرفث ، ولا يفسق ، ولا يجادل ، طيلة أشهر الحج .. ورأينا أن من اعتمر في أشهر
 الحج وتحلّل قبل ميقات الحج ، فعليه هدي .. من هنا نرى أن تحديد أشهر الحج بثلاثة
 أشهر : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ ، له أحكامه المتعلقة بالحج ، وبالعمرة في أشهر الحج .. وبالتالي
 لا بدّ من تحديد زمن أشهر الحج التي فيها تكون هذه الأحكام ، وهذا ما تحمله العبارة :
 ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ ، بمعنى : الحج زمنه أشهر ، كما بينا ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٢

.. وتأتي بعد ذلك كلمة : ﴿ مَعْلُومَتٌ ﴾ ، التي عربها العربون بأنها صفة لكلمة :

﴿ أَشْهُرٌ ﴾ .. لكن .. للأسف تم حصر دلالاتها بأشهر الحجّ كزمن ، بشكلٍ مجرد عن العبادات الأساسية المفروضة في هذه الأشهر .. ونحن لا ننكر أن أشهر الحجّ معلومة .. أبداً .. نحن نقول هي معلومة قبل نزول القرآن الكريم .. لكن .. نرى بعداً إضافياً (إضافة للتعلق بأشهر الحجّ كزمن) محمولاً في دلالات هذه الكلمة : ﴿ مَعْلُومَتٌ ﴾ ، يتعلّق بالعبادات المعلومة في هذه الأشهر ..

.. وهذا البعد الإضافي (إضافة للتعلق بأشهر الحجّ كزمن) ، المحمول في دلالات كلمة : ﴿ مَعْلُومَتٌ ﴾ والذي يتعلّق بالعبادات المعلومة في هذه الأشهر ، في قوله تعالى :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ يتجلّى معنا - أيضاً - في كلمة : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ .. فالصيغة : ﴿ فِيهِنَّ ﴾

شاملة لأشهر الحج ، وما يوجد فيها من شعائر .. وهذا له نظير ، في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [التوبة : ٣٦]

.. في الحديث عن الشهور كهويّات عددها (١٢) ، نرى أن تبيان وجود أربعة منها

تُوصف بصفة الشهور الحرم ، يُحمل بكلمة : ﴿ مِنْهَا ﴾ : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ ، وليس بكلمة : ((منهن)) .. بمعنى : من الشهور ال (١٢) هناك أربعة حرم .. فالجملة :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٣

﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ ، تتعلق وصفاً بالجملة : ﴿ أَتْنَا عَشْرَ شَهْرًا ﴾ ، والضمير في كلمة :

﴿ مِنْهَا ﴾ يعود على الشهور الـ (١٢) : ﴿ أَتْنَا عَشْرَ شَهْرًا ﴾ ..

.. لكن .. بعد ذلك .. نرى أن ظلم النفس بمخالفة ما يأمر الله تعالى به في هذه

الشهور ، يُحمل بصيغة أخرى : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ وليس :

((فيها)) .. فالله تعالى لم يقل : ((فلا تظلموا فيها أنفسكم)) ، إنما يقول تعالى :

﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ .. فالأمر هنا ليس مجرد تبيان لعدد هويّات الشهور ،

كما في العبارة السابقة : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ ، إنما يتعلق الأمر - أيضاً - بالأحكام

التي يأمر الله تعالى بها في هذه الشهور ... ولذلك نرى ورود كلمة : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ دون

كلمة : ((فيها)) ..

.. وكلمة ﴿ مَعْلُومَةٌ ﴾ ، بمعنى : محدّدات وبيّنات ومعروفات ، بشكلٍ موقوفٍ به

على حقيقتهن ، تتعلق بأمرين :

١ - بعلم الله تعالى فقط :

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَمَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ [الحجر : ٤]

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر : ٣٧ - ٣٨]

٢ - بعلم البشر ، إضافة لعلم الله تعالى :

﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء : ٣٨]

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآءِ شَرِبَتْهَا لَكُمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٥]

.. من هنا .. دلالات هذه الكلمة : ﴿ مَعْلُومَتٌ ﴾ ، والتي من متعلقاتها - إضافة لعلم أشهر الحج كزمن - علم العبادات (الشعيرات) الأساسية لمناسك الحج ، والتي بانتهائها تُقضى المناسك .. سنقف فيها عند نقطتين :

١ - كون زمن أشهر الحج معلومة ، وكون العبادات (الشعيرات) الأساسية في أشهر الحج معلومة ، وبانتهائها تُقضى مناسك الحج ، ويتمُّ عمل هذه العبادات في المكان المقدَّس ، والزمان الخاصُّ بها ، وتحت حزمة النور الصاعدة إلى السماء ، فهي منظورة مباشرةً بالنسبة للسماء فمتعلِّق الوقوف على حقيقتها - من هذه الزاوية - هو بالسماء ، كمسألة متميِّزة عن الشعائر المعمولة في أمكنة أخرى ..
.. وخصوصية الزمان (أشهر الحج) ، في قلبها خصوصية أخرى ، أكثر اتِّصالاً مع السماء ، يتمُّ فيها الحجُّ الأكبر ، وهي عبادات (شعيرات) الحجِّ الأساسية كما سنرى ، من اليوم الثامن إلى العاشر من ذي الحجة ، حيث في هذه الأيام ، المناسك فيها تحمل خصوصيةً ، تنتهي بنهايتها مناسك الحجِّ .. وهذه العبادات المكوِّنة لمناسك الحجِّ في هذه الأيام ، معلومة منذ عصر إبراهيم عليه السلام ..

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٧ - ٢٩]

فالعبارة ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ ﴾ ، تعني : ويذكروا اسم الله تعالى في أيام معلومة ، بعبادات (شعيرات) معلومات .. فالعبادات (الشعيرات) في هذه الأيام المعلومة ، هي عبادات معلومات أيضاً ..
.. وهذه الخصوصية للأيام التي يتمُّ فيها الحجُّ الأكبر ، تتميِّز العبادات فيها عن العبادات فيما بعد العاشر من ذي الحجة ، حيث العبادات بعد العاشر من ذي الحجة

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٥

وانقضاء المناسك الأساسية ، يُوصف في كتاب الله تعالى ضمن إطار دلالات كلمة :

﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ ..

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ

مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ ﴾ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٣]

.. وهناك مقابلة ما بين العبادات (الشعيرات) المعلومات في الأيام المعلومة :

﴿ مَعْلُومَاتٍ ﴾ من عصر إبراهيم عليه السلام ، والتي أيامها من الثامن إلى العاشر من ذي

الحجّة ، حيث بعدها تكون العبادات المعدودات : ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ .. وبين ما بيّنه الله

تعالى لنا في النصّ الذي بين أيدينا قيد الدراسة ..

.. ففي النصّ الذي يُخاطب الله تعالى به إبراهيم عليه السلام ، نرى أنّه بعد ذكر

العبادات المعلومات في الأيام المعلومة ، حيث ترد كلمة : ﴿ مَعْلُومَاتٍ ﴾ .. نرى كلمة :

﴿ ثُمَّ ﴾ تنقلنا إلى العبادات المعدودات ..

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عَمِيقٍ ﴿٧٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعًا لَّهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ

مِنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ

وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٧ - ٢٩]

.. وبالمقابل .. في النصّ الذي بين أيدينا ، نرى ورود كلمة ﴿ مَعْلُومَاتٍ ﴾ ، حيث

العبادات المعلومات في الأشهر المعلومة .. كما بيّنا .. ونرى أنّ العبادات بعد انقضاء

المناسك ، أي بعد العاشر من ذي الحجّة ، ترد ضمن الإطار المحمول بكلمة :

﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ ..

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ * وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾

[البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٣]

.. ما نوذُ قوله أن كلمة : ﴿ مَعْلُومَاتٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾

وضمن إطار أشهر الحج المعلومة تتعلّق بها العبادات (الشعيرات) ذاتها الموصوفة بكلمة :
 ﴿ مَعْلُومَاتٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ .. والعلم
 بكلّ ذلك ، له تعلّقه بالسماء ، كونها عبادات (شعيرات) أساسية ، يتمّ القيام بها في
 المكان الخاصّ ، والزمان الخاصّ ، تحت حزمة النور الصاعدة إلى السماء في خصوصيّتي
 المكان والزمان هاتين ..

.. وهذا التمييز في وصف العبادات (الشعيرات) التي يتمّ القيام بها ما بين الثامن
 والعاشر من ذي الحجّة ، ضمن ما تشمله كلمة : ﴿ مَعْلُومَاتٌ ﴾ ، وفي وصف العبادات
 ما بعد العاشر والموصوفة بكلمة : ﴿ مَعْدُودَاتٌ ﴾ ، يؤكّد لنا أن هاتين الكلمتين :
 ﴿ مَعْلُومَاتٌ ﴾ ،، ﴿ مَعْدُودَاتٌ ﴾] ، ليستا مجرد وصفٍ للأيام ، بشكلٍ مجردٍ عن
 العبادات فيها ..

٢ - بيّنا بما فيه الكفاية ، بأن أصل الحجّ كزمان ، وكمكان ، وعبادات (شعيرات
 أساسية) ، أمرٌ معلومٌ - بالنسبة للبشر - متوارثٌ من عصر إبراهيم عليه السلام ، إلى
 نزول القرآن الكريم ، إلى قيام الساعة ، كعلم مكان البيت ، وكعلم مكان تأدية مناسك
 الحجّ ، وكعلم زمان أدائها ، وكحيثيات المناسك الأساسية ..

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٦٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٤٧

وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا آلَ بَابِيسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿

.. وتأتي بعد ذلك العبارة التالية : ﴿ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا

فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ، حيث الفاء في كلمة ﴿ فَمَنْ ﴾ هي الفاء الفصيحة

التي بعدها يفصل الجمل قبلها ، و (مَنْ) اسم شرط جازم مبتدأ ، و ﴿ قَرَضَ ﴾ فعل

الشرط ، والفاعل (هو) يعود على (مَنْ) .. ﴿ فِيهِمْ ﴾ جار ومجرور متعلقان ب

﴿ قَرَضَ ﴾ ، ويعودان على زمن الأشهر .. ﴿ الْحَجَّ ﴾ مفعول به .. وتأتي بعد ذلك جملة

جواب الشرط : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ، حيث الفاء في

كلمة ﴿ فَلَا ﴾ رابطة لجواب الشرط ، (لا) نافية للجنس .. ﴿ رَفَثَ ﴾ اسمها ..

﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ عطف على ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ .. ﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ أيضاً عطف .. ﴿ فِي

الْحَجِّ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (لا) .. والجملة كاملة في محل جزم

جواب الشرط .. وفعل الشرط وجوابه خبر (مَنْ) ..

.. وهنا .. نرى أن مَنْ ألزم وأوجب على نفسه الحجَّ ، في زمن أشهر الحجَّ ، فعليه

منذ اللحظة التي ألزم نفسه بالحجَّ ، أن يطبَّق على نفسه الأحكام : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا

فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ ﴾ ، وذلك ليس فقط أثناء إحرامه عند البيت لتأدية المناسك (ما

بين اليوم الثامن واليوم العاشر من ذي الحجَّة) ، وإنما أيضاً من اللحظة التي فرض بها

على نفسه الحجّ ، حتّى الانتهاء من تأدية الفريضة ، وهذا ما يضيفه تكرار العبارة ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ في آخر هذه الجملة ..

.. فلو جاءت العبارة بالشكل : ((فلا رفث ولا فسوف ولا جدال)) فقط ، لكان من الممكن أن يذهب الذهن إلى أنّ ذلك يكون أثناء تأدية المناسك بعد الإحرام .. لكن

.. إضافة العبارة ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ،

تبيّن لنا أنّ الأحكام ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ ﴾ هي طيلة فترة أشهر الحجّ ،

حيث العبارة القرآنيّة في بداية الآية الكريمة ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ ، تؤكّد ذلك ..

.. ومّا جعلني أذهب إلى كون كلمة : ﴿ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ تشمل عِلْمَ العبادات الأساسيّة

في أشهر الحجّ المعلومة ، هو أنّ كلمة الحجّ التي تتكرّر مرّتين في سطرٍ واحد : ﴿ فَمَنْ

فَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ، نرى فيها كلمة

﴿ الْحَجِّ ﴾ الأولى تتعلّق بالعبادات (الشعيرات) ، وليس بزمن الحجّ ، ، فتقدير العبارة :

﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ ﴾ هو : فمن فرض على نفسه - في هذه الأشهر - القيام

بمذه العبادات (الشعيرات) .. بينما كلمة ﴿ الْحَجِّ ﴾ الثانية تتعلّق بزمن الحجّ أي

بأشهره ، بمعنى خلال هذه الأشهر ، ومن اللحظة التي يُلزم بها الحاجّ نفسه بالحجّ ، وهو

في أيّ مكان ، عليه أن يطبّق الأحكام : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ ﴾ ...

بمعنى : فمن ألزم نفسه وفرض عليه - في هذه الأشهر المعلومة - القيام بمذه العبادات

(الشعيرات) المعلومات ، فعليه ألاّ يرفث ولا يفسق ولا يجادل ، طيلة فترة أشهر الحجّ ،

اعتباراً من اللحظة التي فرض فيها على نفسه الالتزام بمذه العبادات (الشعيرات) ، حتّى

الانتهاء من أداء الفريضة ..

.. بعد هذا البيان للعبارات القرآنية : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ﴾ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ

الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ، سنقف عند قول القائلين بأنه من الممكن تأدية مناسك الحج في أي وقت من أوقات أشهر الحج ، وأن الأمر ليس محصوراً بأيام محددة تبدأ بالثامن من ذي الحجة ..

.. في الإجابة على قول القائلين بإمكانية أداء فريضة الحج في أي وقت من هذه الأشهر

، سنسألهم : لماذا وردت كلمة : ﴿ فَرَضَ ﴾ في العبارة ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ ، وبهذه الصيغة بالذات ؟ .. ولماذا أُضيفت العبارة ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ إلى آخر هذا النص ؟ ..

.. كلمة ﴿ فَرَضَ ﴾ من الجذر اللغوي : (ف ، ر ، ض) ، وتدور دلالاته في إطار الإلزام والإيجاب القاطع الذي لا تراجع فيه ، ولا يقبل النفي والإيقاف ، ففرض الشيء أوجبه وجوباً لازماً قاطعاً .. وهنا الإلزام والإيجاب القاطع ، يكون من قِبَل الإنسان على نفسه .. وفرض الأمر لا يعني الوقوع الفوري للنتيجة المترتبة على ما قد تم فرضه ..

﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ

إِلَّا أَنْ يَعْفُوبَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة : ٢٣٧]

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥]

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٨]

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ [التحريم : ٢]

.. من هنا .. فقلوه تعالى ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ ، لا يعني فمن حجَّ فيهن

كما يقولون .. أبداً .. إنما يعني : فمن ألزم نفسه وهو في أشهر الحج ﴿ فيهن ﴾

القيام بعبادات (شعيرات) الحج .. وبالتالي العبارة تتحدث عن إنسان لم يحج (بمعنى

﴿وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٠

القيام بالشعيرات المعلومات (بعد ، وما فعله هو أنه ألزم نفسه القيام بهذه الشعيرات ..
فكلمة ﴿فَرَضَ﴾ واضحة بأن المعنى لم يتجاوز مرحلة إلزام نفسه القيام بشعيرات الحجّ ..
فكيف يكون معنى قوله تعالى : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ﴾ هو : فمن حجّ فيهنّ ،
وينطلقون من ذلك أنه تجوز تأدية مناسك الحجّ في أيّ وقت من زمن أشهر الحجّ ؟ ..
.. ولو فرضنا جدلاً أن العبارة القرآنيّة : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ﴾ تعني : فمن
حجّ فيهنّ ، ألا يكتمل المعنى عند كلمة جدال : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾
، كون الأمر أصبح معلوماً بأن المعنى حجّ ، أي أنه أصبح داخل عبادات (شعيرات)
الحجّ .. فلماذا إذا أُضيفت العبارة : ﴿فِي الْحَجِّ﴾ ؟ ..
.. كما بيّنا .. العبارة القرآنيّة ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ﴾ تعني : فمن ألزم نفسه
في أشهر الحجّ ، القيام بشعيرات الحجّ (بين الثامن والعاشر من ذي الحجّة) حينما تأتي ،
وهذا يكون قبل بدأ زمن المناسك ، بل وهو في بيته قبل سفره ، وهنا كلمة ﴿الْحَجَّ﴾
الأولى تتعلّق بها عبادات (شعيرات) الحجّ .. وكما بيّنا هذه جملة فعل الشرط ، ولم يأت
الجواب بعد .. فهذا الذي ألزم نفسه - في أشهر الحجّ - القيام بشعيرات الحجّ - حينما
تأتي - التزاماً بالفريضة ، ما هو المطلوب منه ؟ يأتي جزء من جملة جواب الشرط :
﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ ، حاملاً الإجابة ، بأنّه عليه ألا يرفث ، وألا
يفسق ، وألا يجادل .. لكن .. هذه الأمور المنوعة عليه ، هل هي أثناء تأديته للشعيرات
فقط ، أم في كامل أشهر الحجّ اعتباراً من اللحظة التي فرض فيها على نفسه الحجّ ؟ ..
تأتي العبارة الأخيرة : ﴿فِي الْحَجِّ﴾ لتبيّن ذلك ، بأنّ هذه المنوعات تمتدّ على كامل
أشهر الحجّ ، حيث الحجّ زمنه أشهر ، كما بيّنا ..

.. فلو كانت العبارة القرآنية : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾

تعني : ((الحجُّ أشهرٌ معلومة فمن حجَّ فيهن)) ، لما كان من مبررٍ للعبارة ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ ، لأن المعنى يكتمل عند كلمة : جدال ، كما بينا ..

.. وفوق ذلك .. لو كان الحجُّ تتمُّ تأديته في كامل زمن أشهر الحجِّ كما يقولون ، فلماذا إذاً وصف الله تعالى العمرة وصفاً معرفياً بأل التعريف ، كجنسٍ للعمرة ، في ذات العبارة التي يصف فيها الحجَّ معرفياً بأل التعريف ، كميقاتٍ لمناسك الحجِّ المعلومة ، وألزم من يتحلل من العمرة في أشهر الحجِّ بالهدى ، كما رأينا ؟ .. لماذا ؟ .. ألا يقولون : كلُّ زمن أشهر الحجِّ من الممكن تأدية المناسك فيها ؟ .. فما هو التمتع بالعمرة إلى وقت هذه المناسك ، ما دام زمن كلِّ أشهر الحجِّ وقتاً لهذه المناسك كما يقولون ؟!!! .. ألا يعني ذلك أن تأدية مناسك الحجِّ المعلومة لها أيامها ، وليست على كامل زمن أشهر الحجِّ كما يقولون ؟ .. لماذا التمتع بين العمرة والحجِّ في أشهر الحجِّ ، ما دام الحجُّ من الممكن تأديته في أيِّ وقت من أشهر الحجِّ ؟ .. أي بناء على قولهم : في نهاية العمرة - في أشهر الحجِّ - يتم الحجُّ وينتهي الأمر ، وبالتالي لا فاصل من الزمن يتم فيه التمتع بين العمرة والحجِّ ..

.. بعد ذلك .. تأتي العبارة القرآنية : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ ، حيث

الواو في كلمة ﴿ وَمَا ﴾ استئنافية ، (ما) اسم شرط جازم في محلِّ نصب مفعول به مقدَّم ل ﴿ تَفْعَلُوا ﴾ .. فعل الشرط مجزوم بحذف النون .. ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال .. ﴿ يَعْلَمُهُ ﴾ جواب الشرط .. ﴿ اللَّهُ ﴾ فاعل .. وهنا تُعيد هذه العبارة القرآنية الأمر إلى معيار الشفافية والصدق والإيمان الصادق والالتزام بما يريد الله تعالى .. فكلُّ خيرٍ يفعله الإنسان يعلمه الله تعالى ، وسيجازى عليه ، وهنا ذُكر الخير كون السياق كلاً يتعلَّق بحالة يكون فيها الإنسان منقطعاً لله تعالى ..

.. والعبارة القرآنية ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾

، نرى فيها : ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾ الواو استئنافية ، تزودوا فعل أمر مبني على حذف النون ،
والواو فاعل .. ﴿ فَإِنَّ ﴾ الفاء تعليلية (إن) حرف مشبّه بالفعل .. ﴿ خَيْرَ ﴾ اسم إن
.. ﴿ الزَّادِ ﴾ مضاف إليه .. ﴿ التَّقْوَىٰ ﴾ خبر إن ، والجملة لا محل لها من الإعراب
.. ﴿ وَاتَّقُونِ ﴾ فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والنون للوقاية ..
﴿ يَا أُولِيَ ﴾ يا أداة نداء ، (أولي) منادى مضاف علامة نصبه الياء كونه ملحقاتاً بجمع
المذكر السالم .. ﴿ الْأَلْبَابِ ﴾ مضاف إليه .. والجملة معطوفة على جملة ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾ ..
.. ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾ نراها كلمة شاملة ، تشمل جانبي الدنيا والآخرة ، وتشمل التزود في

هذين الجانبين في سفر الحجّ وفي سفر الحياة كلّها .. وتأتي العبارة : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
التَّقْوَىٰ ﴾ مبيّنة أنّ خير ما يتزودّ به الإنسان هو تقوى الله تعالى ، كونه أساس كلّ عملٍ
صالح .. وتأتي العبارة الأخيرة ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ ، مؤكّدة أمرين : الأوّل أنّ
التقوى سبيلها تقوى الله تعالى مالك أمري الدنيا والآخرة ، والثاني أنّ التقوى يقوم بها
أولو الألباب الذين أدركوا حقيقة الدنيا وزوالها ..

.. الآية التالية تبدأ بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّنَ

رَبِّكُمْ ﴾ .. وهنا الفضل المعني يجب أن يكون بعيداً عن الفسوق والجدال ، التزاماً بأمر
الله تعالى : ﴿ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ ﴾ ، فالتجارة ليست محرّمة
شريطة الالتزام بذلك ، وهذا لنفي المبالغة في البيع والشراء في الحجّ ، ولنفي عدم القيام
بالأعمال الضرورية الصالحة ، من مساعدة الآخرين والقيام بكلّ عملٍ ضروري لحاجة
الإنسان ..

.. والعبارة التالية مباشرة هي : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ .. ونرى فيها كلمة

: ﴿ عَرَفَاتٍ ﴾ جمعاً لكلمة (عَرَفَة) ، وهي من الجذر (ع ، ر ، ف) ، ودلالات هذا

الجذر اللغوي تقابل الإنكار ..

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨]

.. ومعرفة الشيء تكون نتيجة الاطلاع عليه ..

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ وَأَيْتِيهِمْ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ [النمل : ٩٣]

.. ومعرفة الشيء هو تذكره نتيجة اطلاع مُسبق عليه ..

﴿ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ آجَعَلُوا بِضَعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ [يوسف : ٦٢]

.. والتعارف هو تواصل الاطلاع ما بين المتعارفين ..

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣]

.. والاعتراف بالشيء هو الإقرار به وتذكره كونه ليس مجهولاً ..

﴿ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١١]

.. والعرف هو غير المنكر المتوافق عليه نتيجة اطلاع مشترك ..

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩]

.. والمعروف هو المشترك غير المنكر ، المُطلع عليه ، والمتوافق عليه ..

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤١]

.. وكلمة ﴿ عَرَفَاتٍ ﴾ هي جمعٌ مؤنَّثٍ سالمٍ لكلمة (عَرَفَة) ، وغير ممنوعة من

الصرف .. فهي ليست مجرد اسم علم لمكانٍ محدّدٍ بعينه هو جبل عرفات كما نعلم ، إنما

هي جمعٌ لحالاتٍ ، كلّ واحدة منها هي : (عَرَفَة) .. وهنا .. نرى أنّ كلمة (عَرَفَة)

كمشقّتٌ من الجذر (ع ، ر ، ف) ، تصف لنا حالة اطلاعٍ وتذكّرٍ وإقرارٍ وتوافقٍ مع

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٥٤

الحق ، وذلك في جزئية ما ، يخرق بها الإنسان الجدار السميك الذي يجعله متنكراً لما يتوجّب عليه علمه ، ويجعله غارقاً في مستنقع الدنيا ، وذلك في أيّ اتجاهٍ من اتجاهات الحياة الغارق فيها .. ليكون مجموع هذه الحالات هو ﴿ عَرَفْتِ ﴾ ..

.. وكلمة ﴿ عَرَفْتِ ﴾ بهذا المعنى ، كجمعٍ لهذه الحالات التي من المفترض أن تتفاعل داخل نفس الحاجّ لينقي نفسه من دنس الدنيا ، يتعلّق بها - في عالمنا هذا - أمران :

- ١ - مكان محدّد بعينه ، هو المكان المعلوم ، والذي تُطلق عليه اسم جبل عرفات ..
- ٢ - زمان محدّد بعينه هو التاسع من ذي الحجة ..

.. وكلمة : ﴿ أَفْضُتُمْ ﴾ من الجذر : (ف ، ي ، ض) .. ودلالات هذا الجذر تدور في إطار السيّلان بعد امتلاء ، والاندفاع والتدفق والانبعاث ..

.. فمعرفة الأنفس المؤمنة بالحقّ ، وسعيها لنصرتها ، تجعل الأعين تمتلئ بالدمع وتطفح به لدرجة السيّلان ، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بمشتقّ من مشتقات الجذر : (ف ، ي ، ض) ..

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءِإِنَّا فَاكُنَّا بِمَا عَمِلْنَا مِن شَاهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣]

.. فالعبارة القرآنية : ﴿ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ تعني : أن أعينهم امتلأت بالدمع لدرجة السيّلان والاندفاع للخارج ..

.. وفي قوله تعالى ..

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤]

.. نرى أن العبارة القرآنية : ﴿ فِي مَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ ﴾ تعني : في ما امتلأتم فيه من قول الإفك وأصبح يتدفق من أفواهكم ..

.. ودلالات هذا الجذر اللغوي نراها تتجلى في كلمة ﴿ تَفِيضُونَ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١]

.. فالعبارة القرآنية ﴿ تَفِيضُونَ فِيهِ ﴾ تعني : تنبعثون فيه ..

.. وفي قوله تعالى ..

﴿ وَنَادَى أَصْحَبُ النَّارِ أَصْحَبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا

رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٠]

.. نرى أن العبارة ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ تعني : أسيلوا (وادفعوا وابعثوا)

علينا من الماء ..

.. فكلمة ﴿ أَفْضَيْتُمْ ﴾ بهذا المعنى ، يتعلّق بها أمران اثنان :

١ - إفاضة روحية تتعلّق بالامتلاء الروحي ..

٢ - إفاضة مادية كتدفق للحجاج من عرفات ..

.. من هنا .. نرى أن العبارة : ﴿ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ عَرْفَتٍ ﴾ ، تحمل عمقاً باطنياً

((إضافة للدلالة المعروفة)) هو : فإذا امتلأت أنفسكم من حالات الاطلاع والتذكّر والإقرار بما ارتكبتموه من خطايا والخلاص والنقاء والعودة إلى الله تعالى بقلب سليم ، لدرجة فاضت أنفسكم بذلك .. عند هذه الحالة التي من المفترض للواقف في هذا المكان وبهذا الزمان أن يكون قد تملكته .. عند هذه الحالة التي هي جوهر الحجّ ، يأتي الأمر

الإلهي : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ ..

.. وهنا .. لا بدّ من الوقوف عند دلالة : ﴿ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ .. ﴿ الْمَشْعَرِ ﴾ : هو معلّم الشعور .. ومشتقات الجذر (ش ، ع ، ر) تعني العلم بالشيء وتحسّسه وتلمّسه والدراية به .. وكلمة ﴿ الْحَرَامِ ﴾ كصفة للمشعر ، من الجذر (ح ، ر ، م) ، تعني : المنع المقابل للحلال ، وقد وردت كلمة ﴿ الْحَرَامِ ﴾ بأل التعريف كصفة للمسجد (بيت الله تعالى) : ﴿ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، وكصفة للشهر الحرام : ﴿ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ ، وللمشعر الحرام : ﴿ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ، والبيت الحرام : ﴿ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ وكلمة : ﴿ عِنْدَ ﴾ ، في العبارة القرآنية ﴿ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ، ظرفيّة متعلّقة بكلمة ﴿ فَادْكُرُوا ﴾ ، ولا يمكن حصرها بمجرد المكان ..

.. وهنا .. العبارة ﴿ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ، يتعلّق بها أمران اثنان :

- ١ - جانب معنوي هو الاستشعار بالحرام المانع للعودة إلى الذنوب والخطايا ..
- ٢ - جانب مكاني يتعلّق بإمكانة مناسك الحجّ ..

.. وهكذا .. يكون المعنى الأوّل كقيمة روحية لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ

عَرَفْتِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ، هو : فإذا امتلأتم تذكراً وإقراراً بما اقترفتُموه من ذنوب ، وتذكّرتُم وأطلّعتُم على النقاء والخلاص البعيد عن أحوال عالم الذنوب والخطايا ، عائدتين إلى الله تعالى ، وفاضت قلوبكم بذلك ، فاذكروا الله تعالى عند هذا المستوى من الامتلاء بالروح الذي تستشعرون به الحرام المانع لكم من العودة إلى الذنوب والخطايا ..

.. فذكر الله تعالى المعنيُّ هنا ، هو ذكر خاصُّ يكون باستشعار موانع الله تعالى وحرماته ، حينما تفيض النفس بمعرفة الله تعالى .. وما يؤكد ذلك هو العبارة التالية مباشرة ، حيث أمرٌ بذكرٍ آخر : ﴿ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ ﴾ .. فالذكر هنا ذكرٌ عامٌّ ، مختلف عن الذكر المتعلِّق بالحالة ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ، ومتعلِّق بهدى الله تعالى الذي بيَّنه ، وبالأسماء والصفات التي بينها لنا وأمرنا أن نذكره بها .. وتأتي العبارة التالية مباشرة : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ ، التي نرى فيها الواو حالية في كلمة ﴿ وَإِنْ ﴾ ، إن مخففة من الثقيلة .. ﴿ كُنْتُمْ ﴾ فعل ماض ناقص ، واسمها .. ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ متعلِّقان بمحذوف حال ، والضمير يعود إلى الهدى بتقدير : وإن كنتم من قبل أن هداكم لمن الضالين ، أو يعود إلى القرآن الكريم .. ﴿ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ اللام فارقة ، والجار والمجرور متعلِّقان بمحذوف خبر ﴿ كُنْتُمْ ﴾ ..

.. وهذه الصيغة : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ ، تُحمل على وجهين : وما كنتم من قبله إلا من الضالين .. والثاني : قد كنتم من قبله من الضالين .. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فكلُّ ما هو دون هذه الحالة ، مقارنةً بها ، هو من الضلال ..

.. وهنا .. حتى لو تمَّ سحب العبارة ﴿ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ على مجرد مكانٍ محددٍ بعينه هو المزدلفة ، وتمَّ سحب العبارة القرآنية ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْهَا عَرَفْتُمْ ﴾ على مجرد الإفاضة كخروج للحجاج من جبل عرفات ، فإنَّ ذلك لا يتعارض مع العمق الروحي الذي وقفنا عنده ، والمحمول بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْهَا عَرَفْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ .. فعبارات كتاب الله تُصوِّر عبادات (شعيرات) تمارس تحت

حزمة النور الصاعدة للسماء ، في مكان وزمان خاصين ، والأمر ليس مجرد سردٍ لحركات أجساد الحجاج في المكان والزمان الخاصين ..

.. بعد ذلك .. تُبتدأ الآية التالية مباشرة بكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ في العبارة الأولى : ﴿ ثُمَّ ﴾

﴿ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ .. وهنا .. نرى تريباً ﴿ ثُمَّ ﴾ ما بين حالة الامتلاء

التي بينها : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ ، وما يتعلّق بها من ذكر : ﴿ فَادْكُرُوا

اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ

الضَّالِّينَ ﴾ ، حيث المكوث والتأمل والمناجاة والخلوص والإخلاص في موقف عرفات ،

وبين الإفاضة المعروفة في الموروث : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ ..

.. وهذه العبارة الكريمة ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ تؤكد صحّة ما

ذهبنا إليه في تفسيرنا الروحي للعبارة ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ ، فكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾

كحرفٍ عطفيٍّ للترتيب ، تبين لنا ، أن الإفاضة هنا غير الإفاضة المحمولة في قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ ، وإلاً لكانت تعطف الأمر على نفسه .. فكلمة :

﴿ أَفِيضُوا ﴾ فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل .. والعبارة ﴿ مِنْ حَيْثُ ﴾

نرى فيهما الجار والمجرور متعلقان بـ ﴿ أَفِيضُوا ﴾ ، ومختصّان بالمكان ، وهو المكان

المعروف بعرفات ..

.. وهنا لقائل أن يقول : لماذا لا يكون المراد من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ

أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ هو حصراً الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر ، قبل طلوع الشمس

للرمي والنحر .. حيث المزدلفة هي المشعر الحرام ، والآية تدلُّ على أن الذكر عند المشعر

الحرام يحصل عقيب الإفاضة من عرفات ؟ ..

.. نقول : الصيغة : ﴿ مِنْ حَيْثُ ﴾ ، لا تُحْمَلُ عَلَى الزَّمَانِ ، إِنَّمَا تُحْمَلُ عَلَى الْمَكَانِ .. والمكان المعلوم بالإفاضة منه هو عرفات ... ومع ذلك ... فَإِنَّ حَمْلَ الْعِبَارَةِ الْقُرْآنِيَّةِ : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ ، عَلَى الْإِفَاضَةِ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى يَوْمِ النُّحْرِ ، قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ لِلرَّمِي وَالنُّحْرِ ، لَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْعَمَقِ الرُّوحِيِّ الَّذِي رَأَيْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ..

أبداً .. فمناسك الحجّ - بهذه الخصوصية من الزمان والمكان - ليست مجرد حركات تتعلق بجسد الإنسان .. وآيات كتاب الله تعالى تحمل كل الأحكام المطلوب الالتزام بها ، من الحالات الروحية العالية ، إلى الحركات المادية من خلال الجسد .. ونحن لم ننكر هذه المرحلة من شعائر الحجّ ، إنّما نلتزم - في تفسيرنا - بحيثيات صياغة النصّ القرآني ..

.. وهنا في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ ، لا بدّ أن نقف عند كون كلمة : ﴿ أَفِيضُوا ﴾ ، فعل أمر ليعمل به الناس ، وفي الوقت ذاته نرى أنّ كلمة : ﴿ أَفَاضَ ﴾ هي فعل ماض ، وأنّ كلمة : ﴿ النَّاسُ ﴾ كفاعل ، عامّة تشمل الناس جميعاً ، حيث أفاضوا جميعاً من هذا المكان .. وهنا سنعود إلى كون البيت موضوعاً قبل آدم عليه السلام ، وإلى كونه قبلة لكل الرسالات الأولى ، وإلى كون هذه العبارة إشارةً إلى أنّ بداية البشرية على هذه الأرض هي من تلك البقعة المباركة ..

.. فمن تلك البقعة المباركة ، بدأت البشرية وجودها ، ومن تلك البقعة المباركة أفاضت أنفس الناس السابقين (كحجاج لبيت الله تعالى) حيث امتلأت تذكراً وإقراراً بما اقترفوه من ذنوب ، وتذكروا واطَّلَعُوا عَلَى النِّقَاءِ وَالْخُلَاصِ الْبَعِيدِ عَنْ أَوْحَالِ عَالَمِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، عَائِدِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَفَاضَتْ قُلُوبُهُمْ بِذَلِكَ ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦٠

.. فالأمر ﴿ أَفِيضُوا ﴾ يتعلّق بالإفاضة من مكان أفاض منه الناس قبلنا ﴿ مِنْ حَيْثُ

أَفْضَى النَّاسُ ﴾ ، ويُطلب مَمَّنْ يأتي بعدنا أن يفيض منه كوننا كناس (قبلهم) أفضنا منه

.. وهكذا .. إلى قيام الساعة .. فهذه من الشعائر التبعديّة التي تكفّل الله تعالى بحفظها ،

وستبقى محفوظة إلى قيام الساعة ..

.. وتُختَم الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ،

الذي يحمل أمراً بطلب المغفرة من الله تعالى ، وأنّ الله تعالى غفور رحيم ، يغفر لعباده

الصادقين ويدخلهم في رحمته .. فالتائب يقبل الله تعالى توبته ، والله تعالى الذي يأمر

بالاستغفار ، ويصف نفسه بالغفور الرحيم ، بالتأكيد يقبل التوبة الصادقة المحقّقة للشروط

التي يبيّنها جلّ وعلا ..

.. والعبارة الأولى في الآية التالية ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ ، تصف مرحلة ما

بعد الفراغ من المناسك ، بأنّه على الحجّاج : ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ

أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ ، حيث نرى الفاء الرابطة لجواب الشرط في ﴿ فَأَذْكُرُوا ﴾ ، اذكروا

فعل أمر وفاعل .. لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ مفعول به ، والجملة لا محلّ لها من الإعراب لأنّها

جواب شرطٍ غير جازم .. ﴿ كَذِكْرِكُمْ ﴾ الكاف والمجرور بها ، في محل نصب مفعول

مطلق بتقدير : اذكروا الله ذكراً مماثلاً لذكركم آباءكم .. ﴿ آبَاءَكُمْ ﴾ مفعول به

للمصدر المضاف لفاعله .. ﴿ أَوْ ﴾ عطف .. ﴿ أَشَدَّ ﴾ معطوفة على ﴿ آبَاءَكُمْ ﴾

بتقدير : أو أشدّ من ذكر آبائكم ..

.. وهنا نرى أنّ ساحة التفضيل المطروحة هي في الذكر ذاته ، أي في الوجدانية التي لا

تقبل شريكاً .. بمعنى : الوجدانية في الانتماء لآبائكم والتي لا تحتل شريكاً ، كرفةة

﴿ وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦١

وشأن ، اذكروا الله تعالى بوحداية لا تقل عنها .. من هنا نرى الحكمة في اختيار كلمة

﴿ آبَاءَكُمْ ﴾ كنموذج للوحداية التي لا يضع الإنسان شريكاً فيها ..

.. هنا .. انقضت المناسك .. وعاد الإنسان لينشغل بالحياة المادية ، بعد مرحلة خلاص ونقاء وغسيل للقلب والنفس ، ويأتي أمر الله تعالى له بأن لا يهبط بذكره لله تعالى عن ذكر آبائه ، واضعاً الحد الأدنى لذكر الله تعالى ، بأنه يجب ألا ينخفض - بعد انقضاء مناسك الحج - عن ذكر الآباء ..

.. وتأتي بعد ذلك العبارات القرآنية :

﴿ فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾
﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾
﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

.. وهنا .. يبين الله تعالى لنا صنفين من الناس .. الصنف الأول من يكون دعاؤه مقصوراً على طلب الدنيا ، والصنف الثاني : من يجمع في الدعاء بين طلب الدنيا وطلب الآخرة ، وبين هذين الصنفين هناك صنف ثالث مضمّر ، وهو من يكون دعاؤه مقصوراً على طلب الآخرة ..

.. وقد بينت في بحث الإرادة والمشية أن الإرادة لا تحمل المتناقضات ، فمن تعلقت

إرادته بالدنيا تعلقت كاملاً ، فقد كفر بالآخرة .. وبالتالي ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

﴿ خَلْقٍ ﴾ .. ومن تعلقت إرادته بالآخرة فهو يستثمر كل ما بين يديه في الدنيا من أجل أن

يبقى فيها قادراً على العمل من أجل الآخرة ، فالحسنة التي يريدتها في الدنيا هي من أجل امتلاك القدرة على العمل من أجل الآخرة ، وبالتالي بمقدار ما يسخر ما بين يديه في الدنيا

﴿ وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦٢

من أجل الآخرة يكون ذلك نصيبه في ميزان الآخرة : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا

وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ..

.. الآية التالية تبدأ بالعبارة : ﴿ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ... وكلمة

﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ من الجذر : (ع ، د ، د ، د) ، ودلالات هذا الجذر اللغوي ليست

محصورة في إحصاء المعدود كأعداد مجردة .. أبداً .. فقوله تعالى التالي يؤكد ذلك ..

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ﴿٣٦﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ

وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿ [مريم : ٩٣ - ٩٤]

.. إنَّ حمل العبارة القرآنية ﴿ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ على مجرد إحصاء مَنْ في السماوات

والأرض يتناقض من كون الكلمة السابقة لها مباشرة ﴿ أَحْصَاهُمْ ﴾ تصف إحصاءهم ..

.. فعُدَّ الشيء يعني اعتباره ، وذكره ..

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾ [ص : ٦٢]

.. وأعدَّ الشيء هبَّاه ..

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [التوبة : ٨٩]

.. هذا البيان الدلالي لكلمة ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ، نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴿.....﴾ [البقرة : ١٨٣ - ١٨٤]

.. وقد بينت في كني - بما فيه الكفاية - أنَّ هاتين الآيتين الكريمتين ، تتحدَّثان عن

الصوم في إطاره العام ، وليس عن صوم رمضان ، فصوم رمضان جاء في الآية التالية لهما

مباشرة ..

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ

وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

.. إذا .. قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٦﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴿١٨٧﴾ ، يتعلّق بحالات الصيام المفروضة إضافة

لصيام التطوّع ، كالصوم الواقع على المريض أو الذي به أذى من رأسه ، أثناء تأدية مناسك الحج ، وكالذي يتمتّع بالعمرة إلى الحج ، فيقع عليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد رجوعه إلى أهله ، كالصوم الذي يقع على من يقتل مؤمناً خطأً من قومٍ بيننا وبينهم ميثاق ، فيقع عليه صيام شهرين متتابعين ، وكمن يقع عليه الصوم ثلاثة أيام ككفارة ليمين تم عقده ، وكصيام شهرين متتابعين يقع على الذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودن لما قالوا ..

.. إذا .. نحن أمام حالات معدودات (مذكورات) ، كلّ منها يتوجّب فيها الصوم أياماً معدودة (مذكورة في كتاب الله تعالى) .. وهذا هو عين ما تنطق به العبارة القرآنيّة

: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٦﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ .. بمعنى : كُتِبَ عَلَيْكُم

الصيام أياماً معدودة ، تتعلّق بحالات معدودات (مذكورات) من الصيام ..

.. هنا في قوله تعالى ﴿ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ، يكون التقدير :

واذكروا الله في أيامٍ (معدودة) بعبادات (شعيرات) معدودات .. وهذه الأيام هي ثلاثة أيام بعد النحر ، والمتعارف عليها بأيام التشريق وبيّنا أنّ هذه الحالات تُوصف بصفة

: ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ كونها بعد العاشر من ذي الحجّة ، وبعد انقضاء المناسك كما رأينا ..

﴿ وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦٤

.. والعبارة التالية مباشرة للعبارة : ﴿ **وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ هي :

﴿ **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى** ﴾ .. ونرى

فيها أنه هناك حالتان متقابلتان بالنسبة للأيام التي تتم فيها هذه العبادات ، وهي أيام التشريق الثلاثة ..

١ - ﴿ **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ .. بمعنى اختصار الأيام الثلاثة إلى

يومين ..

٢ - ﴿ **وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ .. بمعنى الزيادة فوق الأيام الثلاثة .. وليس إتمام

الأيام الثلاثة كما تذهب تفاسيرنا ..

.. وكون التعجل أمراً منسوباً للأيام الثلاثة ، وليس للتأخر ، وكذلك كون التأخر

منسوباً للأيام الثلاثة وليس للتعجل .. بمعنى : كلٌّ منهما أمرٌ مستقلٌّ عن الآخر ، فإننا

نرى تكرار العبارة القرآنية : ﴿ **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ ، خلف التعجل ، وخلف التأخر ..

.. بعد ذلك تأتي العبارة القرآنية ﴿ **لِمَنِ اتَّقَى** ﴾ متعلقةً بهاتين الحالتين .. بمعنى :

اختصار الأيام الثلاثة إلى يومين ، أو التأخر إلى أكثر من ثلاثة أيام ، لا إثم في الحالتين ،

شريطة تقوى الله تعالى في كلٍّ من هاتين الحالتين .. إذاً العبارة ﴿ **لِمَنِ اتَّقَى** ﴾ تتعلق

بهاتين الحالتين ..

.. وفي العبارة التالية : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ نرى أن العمل

بالأمر ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ هو للمستقبل التالي لزمان انتهاء النسك ، وذلك بفعل ما يأمر الله

تعالى به ، والابتعاد عما ينهى عنه ، والعمل بالأمر ﴿ **وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾

يستحضر في النفس كلَّ دواعي التقوى ..

.. وهنا أودُّ أن أذكر بما قلناه في سياق هذا البحث ، بأن الحجَّ زمنه أشهر تامّة ، وليس شهر شوال وشهر ذي القعدة وعشرة أيام من شهر ذي الحجة ، فالعبارات التي نقف عندها الآن في هذا السياق تصف عبادات تتمُّ ما بعد العاشر من شهر ذي الحجة ..
.. وفي هذه الآيات الكريمة في سورة البقرة ، والمتعلّقة بالحجِّ وعباداته (شعيراته) ، نرى أن الذكر المأمور به هو أربع درجات ، درجتان متعلّقتان في الشعائر المعلومات قبل العاشر من ذي الحجة ، ودرجتان متعلّقتان في الشعائر المعدودات بعد العاشر من ذي الحجة ، ولكلٍّ منها حاله من الزمان والمكان ..

١ - ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ .. كما

بيّنا .. الذكر هنا ذكر عميقٌ خاصٌّ بزمانٍ ومكانٍ محدّدين بالوقوف في مناسك الحجِّ ، ويكون باستشعار موانع الله تعالى وحرماته ، حينما تفيض النفس بمعرفة الله تعالى ، وتنتجّه إليه خلاصاً وإخلاصاً ، ومنطلقه القلب ولبُّ الإنسان .. وهو أعلى مراتب الذكر ، في الزمان والمكان الخاصّين ..

٢ - ﴿ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ ﴾ .. كما بيّنا .. الذكر هنا أيضاً هو في زمانٍ

ومكانٍ محدّدين في مناسك الحجِّ ، لكنّه ذكرٌ عامٌّ ، ومتعلّقٌ بهدى الله تعالى الذي بيّنه ، وبالأسماء والصفات التي بينها لنا وأمرنا أن نذكره بها ، ومنطلقه اللسان والشعائر الحسيّة المأمور بها ، والتي يتساوى بها كلُّ الناس .. وهو في الزمان والمكان الخاصّين ، بمرتبة عالية ، لكن ليس بدرجة المرتبة السابقة ..

٣ - ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءِآبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا ﴾ .. بيّنا أنّ الذكر هنا منطلقه القلب ولبُّ الإنسان وبإطارٍ معنويٍّ يتعلّق

بالوحدانية ، انطلاقاً من حدٍّ أدنى هو ذكر الله تعالى بوحدانية لا تقلُّ عن وحدانيّة عدم قبول شريك في الأبوة ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٦٦

٤ - ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ

تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ .. بينا أن الذكر هنا منطلقه اللسان والشعائر الحسينية

المأمور بها ، في إتمام الشعائر أيام التشريق ..

.. وفي سورة البقرة آية تصوّر منسكاً من مناسك الحج والعمرة ..

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ

أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨]

.. كلمة ﴿ الصَّفَا ﴾ نراها معرفةً بأل التعريف ، والصفاء هو النقاء الخالص الذي لا

تشوبه شائبة ، ومن هنا كانت كلمة ﴿ صَفْوَانٍ ﴾ تعني الحجر الخالص الأملس الصلد

الذي ليس في كينونته ما يشوبه من تراب وغير ذلك ..

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِثَاءً

النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ

فَتَرَكَهُ صَالِدًا ۗ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٤]

فكلمة ﴿ الصَّفَا ﴾ كدلالة لغوية ، تعني حالة الصفاء الخالص الذي لا يشوبه كدر ..

.. وكلمة ﴿ وَالْمَرْوَةَ ﴾ ، هي المشتق الوحيد للجذر (م ، ر ، و) في كتاب الله

تعالى .. ومن خلال استشفاف المعنى من السياق المحيط ، ومن كونها معطوفة على كلمة

﴿ الصَّفَا ﴾ في أمرٍ واحدٍ يتعلّق بشعائر الحج والعمرة ، التي جعلت من أجل تنقية النفس

من دنس الشرك حيث الخلاص والإخلاص ، نصل إلى نتيجة ، أن كلمة ﴿ وَالْمَرْوَةَ ﴾

تعني : البياض المقابل للسواد ، والمكمل للنقاء ولعدم وجود شائبة .. وهكذا تكون

الكلمتان : ﴿ الصِّفَا وَالْمَرَوَّة ﴾ ، تعينان : اجتماع الصفاء الخالص الذي لا يشوبه كدر ، مع البياض الشفاف المقابل للسواد الداكن ..

.. وتحليلنا للدلالة اللغوية لهاتين الكلمتين ، لا يعني إنكارنا للمكان المعروف المسمّى بهما ، أبداً ، فكما أننا دخلنا في العمق الروحي للعبارة ﴿ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ دون أن ننكر المكان المعروف بجبل عرفات ، كذلك الأمر هنا .. ودليلنا أن الكلمات القرآنية فطرية ، وتصف وصفاً مطلقاً حقيقة المسميات بها ، ودلالات أيّ كلمة قرآنية لا تخرج عمّا يحمله جذرها اللغوي من دلالات ..

.. ونرى في الموروث خلطاً بهذا الأمر ، نتيجة عدم الوقوف على حقيقة صياغة عبارات هذه الآية الكريمة .. فقد روي عن عروة أنه قال لعائشة : إني أرى أن لا حرج علي في أن لا أطوف بهما ، فقالت : بئس ما قلت لو كان كذلك لقال : أن لا يطوف بهما .. والمشكلة أن الذين خلطوا بذلك لم يقفوا عند التشديد في كلمة ﴿ يَطُوف ﴾ ، ولم يقفوا عند حقيقة مفادها أن زيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى ، فالذي لا جناح عليه هو التطوّف ﴿ يَطُوف ﴾ ، فالله تعالى يقول ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴾ ، ولم يقل : ((فلا جناح عليه أن يَطُوفَ بهما)) .. وهذه الكلمة .. بزيادة المبنى بالتشديد :

﴿ يَطُوف ﴾ شأنها شأن كلمة ﴿ وَلِيَطُوفُوا ﴾ في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] ..

.. ولو عدنا إلى السياق المحيط بهاتين الكلمتين في كتاب الله تعالى لرأينا أن المعنى هو

الطواف الزائد عن الفريضة تطوعاً ..

.. فالعبارة القرآنية فيها ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ في الآية قيد

الدراسة ، واضحة وجلية ، وفيها إشارة إلى أن المعنى بكلمة ﴿ يَطَوَّفُ ﴾ ، هو التطوُّع

الزائد على الفريضة ..

.. وقوله تعالى ..

﴿ وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إِنَّا فَتَنَّا قُورَيْشًا فَهَوَّ حَيْرَ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي

اللَّهِ وَدَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ الْعَلِيمِ ﴾ [التوبة : ٣]

.. تُذكر فيه العبارة ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ ، في سياقٍ آخر غير سياق تبيان أحكام

مناسك الحجّ .. لكن .. حيث كلمة : ﴿ وَأَذِّنْ ﴾ تعني الإعلام والإخبار ، فقد تمّ الإعلام

عن ذلك : ﴿ وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ ﴾ خلال : ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾

، وذلك لكون أيام مناسك الحجّ الأساسية (بين الثامن والعاشر من ذي الحجّة) ، التي

يجمع فيها الحجّاج من كلّ أنحاء العالم ، في الأيام المعلومة التي تتمّ فيها العبادات

(الشعيرات) المعلومة كما بيّنا ، تتحلّى فيها البراءة من المشركين ..

.. ومن متعلّقات الحجّ هو تحريم الصيد في حال الإحرام بحجّ أو بعمرة ، وفي حدود

الحرم .. وها هي جميع مشتقات الجذر (ص ، ي ، د) في كتاب الله تعالى ..

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى

عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة : ١ - ٢]

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَجْلِبَ عَلَيْكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ

..... يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا

فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ
 أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۗ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا
 دُمِّمْتُمْ حُرْمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ [المائدة : ٩٤ - ٩٦]

.. فالعبارة ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ نرى فيها ﴿ غَيْرَ ﴾ حال .. ﴿ مُحِلِّي ﴾ مضاف إليه .. ﴿ الصَّيْدِ ﴾ مضاف إليه .. ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ مبتدأ .. ﴿ حُرْمٌ ﴾ خبر ..
 والجملة ﴿ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ حال من ﴿ مُحِلِّي الصَّيْدِ ﴾ ، بتقدير : أُحِلَّ لَكُمْ بهيمة الأنعام -
 إلا ما يتلى عليكم من التحريم - في حال امتناعكم عن الصيد حال كونكم حرماً ..
 .. فالعبارة ﴿ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ تعني : وأنتم محرمون ، بمعنى داخلون في الإحرام بالحج
 والعمرة أو أحدهما ، وأيضاً تشمل وأنتم داخل الحرم ..

.. وكلمة ﴿ الصَّيْدِ ﴾ كمصدر معرف بأل التعريف ، يشمل ليس فقط القيام بعملية
 الصيد ، إنما كل فعلٍ في ذلك ، كأكله مثلاً ..

.. أما بالنسبة للعبارة : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ ، ففيها إعجاز لغوي يبيِّن فطرية
 المفردات القرآنية ، وأن الحرف هو اللبنة الأولى للمعنى .. وقد بيّنت ذلك في كتابي :
 النظرية السادسة (سلم الخلاص) .. وفيما يلي اقتطع من هذا الكتاب نصاً فيما يتعلق
 بهذا الأمر ..

]] .. الكثير من مُقدِّمي التاريخ منهجاً بديلاً عن منهج الله تعالى ، والذين لا يطيبُ
 لهم ترك أصنامهم التاريخية ، يُريدون إشراك صنم التاريخ - بما يحمله من رجالات وفقهاء
 وأقوال - في رسم حدود دلالات كتاب الله تعالى .. فيبحثون عمّا يُوهمون به أنفسهم
 والآخريين من أن ظاهر بعض النصوص القرآنية لا يُوافق حقيقة الأحكام التي تحملها هذه

النصوص ، وذلك بغية إيجاد مُبرِّرٍ لجعلِ رجالاتِ التاريخِ ضرورةً لا بُدَّ منها لفهمِ دلالاتِ كتابِ الله تعالى ..

.. ومَّا يَجْتَحُونَ بِهِ - كَنموذجٍ نختاره لإسقاطِ هذه الأوهامِ والمزاعم - هو تفسيرهم

لقوله تعالى .. ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة : ٢] .. يقولون : ظاهرُ هذا النصِّ

أمرٌ إلهيٌّ ، بأن يصطاد - حسبِ زعمهم - كلُّ متحلِّلٍ ، كي يخرج من إحرامه ، بينما حقيقةُ الخروجِ من الإحرامِ لا تشملُ أيَّ أمرٍ إلهيٍّ بذلك ، أي فسَّروا هذا النصَّ على أنَّ

كلمة ﴿ فَاصْطَادُوا ﴾ فيه ، يعني ظاهرُ دلالاتها حتميةُ الصيد ..

.. فحسبَ ما ذهبوا إليه ، يكونُ معنى ظاهرِ هذا النصِّ : أنَّ كلَّ من يتحلَّلُ لا بدَّ له

من أن يقومَ بعمليةِ الصيدِ ، وهذا غيرُ مُمكنٍ ، ولذلك ذهبوا إلى أنَّ دلالاتِ النصِّ لا

توافقُ ظاهرَ صياغته .. وبالتالي لا بُدَّ - حسب ما يذهبُ إليه زعمهم ، وما يريدون -

من عدمِ الأخذِ بظاهرِ هذا النصِّ ، ولا بُدَّ من العودةِ إلى أصنامِ التاريخِ كـمعيارِ دلالاتِ

لفهمِ بعضِ دلالاتِ الجملِ القرآنيَّةِ ، والكلماتِ القرآنيَّةِ ..

.. نحنُ نقولُ : لا يمكنُ لدلالاتِ أيِّ نصٍّ قرآنيٍّ أن تخالفَ ظاهرَ صياغته اللغويَّةِ ..

وإن توهَّمنا ذلك ، فالمشكلةُ تكمنُ في إدراكنا إمَّا لصياغةِ النصِّ ، وإمَّا لدلالاتِ بعضِ

كلماته ..

.. السرُّ في النصِّ الذي بين أيدينا يكمنُ في حرفِ الطاءِ ، في كلمة ﴿ فَاصْطَادُوا ﴾

.. فدخولُ هذا الحرفِ الغريبِ عن الجذرِ اللغويِّ (ص ، ي ، د) ، إلى مشتقٍّ من

مشتقاتِ هذا الجذرِ اللغويِّ ، له فعلُهُ وتأثيرُهُ في تحديدِ دلالاتِ هذا المشتقِّ ..

.. ومن خلالِ دراسةٍ منهجيَّةٍ قمتُ بها لرصدِ تأثيرِ دخولِ حرفِ (الطاء) على

دلالاتِ جذرٍ لغويٍّ ، رأيتُ أنَّ دخولَ هذا الحرفِ (الطاء) على جذرٍ لغويٍّ ، يعني

إدخالَ المسألةِ المعنيَّةِ بهذا الجذرِ اللغويِّ في ساحةِ استخدامِ الفاعلِ ، حسبَ إرادته .. أي

يتمُّ إدخالُ تلكِ المسألةِ في ساحةِ إمكانيَّةِ الاستخدامِ ، بحيثُ يقتربُ الفاعلُ من حقيقةِ

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٧١

المسألة حسب الحاجة .. أي تُضيفُ دلالاتُ هذا الحرف (الطاء) دلالةَ الإمكانية ،
لدلالات الجذر اللغوي ..

.. فعلى سبيل المثال .. مشتقاتُ الجذر اللغويّ (ص ، ل ، ي) تعني الانغماسُ في

المسألة موضوع الصلي ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا ﴾ [النساء : ٥٦]

.. فصليُّ النار هو الانغماسُ فيها .. وكلُّ مشتقاتِ الجذر اللغويّ (ص ، ل ، ي)

في كتابِ الله تعالى ، التي لم يدخلْ عليها حرفُ الطاء ، تدورُ معانيها في هذا الإطار ..
وهناك مشتقٌّ واحد من مشتقاتِ هذا الجذر اللغويّ دخل عليه حرفُ الطاء ، هو كلمة

﴿ تَصَطَّلُونَ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا خَبِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ

لَعَلَّكُمْ تَصَطَّلُونَ ﴾ [النمل : ٧] .. وفي قوله تعالى ..

﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا خَبِيرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ

لَعَلَّكُمْ تَصَطَّلُونَ ﴾ [القصص : ٢٩]

.. واضحٌ أنّ كلمة ﴿ تَصَطَّلُونَ ﴾ في هاتين الآيتين الكريمتين ، لا تعني الانغماسَ

بالشهابِ القبسِ وبجدوةِ النارِ .. وإلاّ لأتتْ (تصَّلون) .. أي بعدم دخولِ حرفِ الطاء
على الكلمة ..

.. فالاصطلاءُ هو الاقترابُ ممّا تعنيه مشتقاتُ الجذرِ (ص ، ل ، ي) حسبَ إرادةِ

الفاعلِ وحاجتهِ .. وهكذا .. فحرفُ الطاءِ أدخلَ المسألةَ في ساحةِ إمكانيةِ استخدامِ

الفاعلِ وحاجتهِ ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٧٢

.. ولنأخذ مثلاً آخر ، هو مشتقات الجذر اللغوي (ص ، ف ، ي) .. إن إصفاً الشيء بشيء آخر ، هو إعطاء هذا الشيء (الأول) ما تم اختياره (الشيء الثاني) من ساحة أخرى لا يُقارن فيها الشيء الأول ..

﴿ أَفَأَصْفِكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا ﴾ [الإسراء : ٤٠]

﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا تَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٦]

.. فالشيء الذي تم إصفاؤه (الشيء الأول الذي هو نحن) لم يدخل ساحة المقارنة مع الشيء الثاني (البنين) ، ولا حتى بين هذا الشيء الثاني وما يُقارن به وهو (البنات) .. فما دخل ساحة المقارنة تلك هو ما تم إعطاؤه للشيء المصفى ، أي هو (البنون) .. فالبشر المخاطبون في هذين النصين القرآنيين ، والذين تم إصفاؤهم ، لم يدخلوا ساحة المقارنة .. وما دخل تلك الساحة هو البنون الذين يُقارنون مع البنات .. ولذلك فداخل ساحة هذا الإصفاء يوجد البنون والبنات ..

.. ولذلك حين تصوير مسألة الإصفاء تلك من داخل ساحة المقارنة بين البنين والبنات ، نرى دخول حرف الطاء الذي يُشير إلى عملية الدخول تلك ..

﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ [الصفات : ١٥٣]

.. فالاصطفاء هنا هو من داخل ساحة المقارنة بين البنين والبنات .. والمسألة ذاتها نراها في الصور القرآنية التالية ..

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ﴾ [البقرة : ٢٤٧]

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ ﴾ [آل عمران : ٣٣]

﴿ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَيْتُكَ وَطَهَّرْتُكَ وَأَصْطَفَيْتُكَ ﴾ [آل عمران : ٤٢]

﴿ قَالَ يَمْؤُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٤٤]

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥]

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٣٢]

﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الزمر : ٤]

.. فحرف الطاء - إذا - يُشيرُ إلى دخولِ المصطفى داخلِ ساحةِ المقارنةِ مع الآخرين ..
 .. بينما عدمُ دخولِ هذا الحرفِ يُشيرُ إلى وجودِ المخاطبِ بمشتقِّ الجذرِ اللغويِّ (ص ، ف ، ي) خارجَ تلكِ الساحةِ ..
 .. ولنأخذُ مثلاً آخر .. مشتقاتِ الجذرِ اللغويِّ (ص ، ر ، خ) تحملُ معنىَ حيثياتِ الصراخِ ..

﴿ وَإِنْ كُنَّا نَعْرِفُهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴾ [يس : ٤٣]

.. والاستصراخُ هو طلبِ الصراخِ ..

﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ اسْتَصْرَحُوه ﴾ [القصص : ١٨]

.. أمّا دخولُ حرفِ الطاءِ على هذا الجذرِ اللغويِّ فيعني دخولُ ساحةِ هذا الصراخِ ، أي يعني تصويرَ الصراخِ من داخلِ ساحتهِ ..

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي ... ﴾ [فاطر : ٣٧]

.. ولنأخذُ مثلاً آخر .. هو مشتقاتِ الجذرِ اللغويِّ (ص ، ب ، ر) .. حين دخولِ حرفِ الطاءِ على مشتقاتِ هذا الجذرِ اللغويِّ فإنَّ ذلكِ يعني دخولُ ساحةِ الصبرِ ، وساحةِ إمكانيّةِ التفاعلِ معه ..

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ [مريم : ٦٥]

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢]

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَنْتَجِمِمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ [القمر : ٢٧]

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المهندس عدنان الرفاعي ٧٤

.. ولأخذ مثلاً آخر ، هو مشتقات الجذر اللغويّ (ص ، ن ، ع) .. إنَّ صنَعَ

الشيء يعني وقوعه تحت فعلٍ صناعته ..

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُ جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٨]

فالصنعة هي مهنة هذا الفعل ..

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٨٠]

وقد وضع الله تعالى موسى عليه السلام في ساحة إمكانيّة الصناعة كما يُريدُ الله تعالى ، وليس في ساحة الصناعة المباشرة التي فاعلها الوحيد هو الله تعالى ، وإلاّ فسيكون موسى عليه السلام مُسيراً في كلِّ حركةٍ من حياته .. هذه الحقيقة نراها جليّة في ورودِ مُشتقّ الجذر اللغويّ (ص ، ن ، ع) المتعلّق بموسى عليه السلام ، بصيغة المبنى للمجهول ..

﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩]

ولذلك يقولُ الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ وَأَصْطَفَيْتُكَ ﴾ ولم يقل له (وصنعتك

(.. أي يقول له أدخلتك في ساحة إمكانيّة صناعتك لنفسك كما أُريد ، وتحت إشرافي .. وبعد ذلك فإنَّ معدنك الصالح استمرّ في هذه الإمكانيّة إلى أن صنعت كما أُريد ..

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْؤَسَىٰ ۖ وَأَصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه : ٤٠ - ٤١]

.. والمسألة ذاتها في دخول حرف الطاء على مشتقات الجذر اللغويّ (ض ، ر ، ر)

، بمعنى إدخال المعنى بالكلمة (التي دخل عليها حرف الطاء) إلى ساحة إمكانية الوقوع في الضرر ..

﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٢٦]

﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٧٣]

﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣]

﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥]

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل : ٦٢]

.. وهكذا .. فدخول حرف الطاء على مشتقات الجذر اللغوي ، يعني دخول المعنى بهذا المشتق في ساحة إمكانية حصول الفعل ، وتصوير المسألة من داخل هذه الساحة ..

.. المسألة ذاتها نراها في الفعل ﴿ فَاصْطَادُوا ﴾ في العبارة القرآنية ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ

فَاصْطَادُوا ﴾ .. فتقدير المعنى هو : فادخلوا في ساحة حل الصيد .. ولا يعني ذلك

حتمية الصيد للمتحلل .. ومما يؤكد ذلك أنه في الآية السابقة مباشرة للآية الحاملة لهذه العبارة القرآنية ، يقول تعالى ..

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةٌ ءَاتَعَمِرُوا إِلَّا مَا يُتْلَى

عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١]

فالعبرة القرآنية ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ تعني غير داخلي ساحة حل الصيد

وأنتم حُرْمٌ .. وبالتالي فالعبارة القرآنية ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ ، تعني وإذا تحللتكم

فادخلوا ساحة إمكانية حل الصيد ..

.. وهكذا نرى أن تصور بعضهم وزعمهم بوجود تعارض بين ظاهر صياغة النص

القرآني وبين حقيقة ما يحمل من معانٍ ودلالات ، هو وهمٌ دخل أنفُسهم نتيجة عدم

إدراك دلالات النص القرآني ، ونتيجة فرض التصورات التاريخية على دلالات الكلمات

القرآنية دون البحث السليم الهادف لاستنباط حقيقة هذه الدلالات من كتاب الله تعالى ،

ونتيجة عدم امتلاك الإرادة القويّة في التخلّي عن الأصنام الفكرية المغلوطة .. [] ..

في نهاية هذا البحث أقول : أرجو الله تعالى أن أكون قد مسست الحقّ فيما طرحته ،

وأن أكون قد قمت بواجبي تجاه خدمة كتاب الله تعالى ، ويئنت ما تمّ تغييره خلال التاريخ

مثل تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ

تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة :

١٩٦] .. ومثل موضوع مَنْ تَحَلَّى مِنْ عَمْرَةٍ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ دُونَ أَنْ يَحُجَّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ :

﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة : ١٩٦]

.. ومثل كون مَنْ يَفْرُضُ عَلَى نَفْسِهِ الْحَجَّ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ، عَلَيْهِ أَنْ لَا يَرِفْ وَلَا يَفْسُقْ

وَلَا يَجَادِلْ ، مِنْذُ اللَّحْظَةِ الَّتِي أُلْزِمَ نَفْسَهُ الْقِيَامَ بِمَنَاسِكَ الْحَجِّ : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة :

١٩٧] .. وغير ذلك مما طرحت في هذا البحث ..

.. وخير ما أحتم به هذا البحث ، هو قوله تعالى المصوّر لقول شعيب عليه السلام ..

﴿ قَالَ يَنْقُومِ آرَاءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ

أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي

إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨]